السنة الثامنة عشرة		العدد ٦ حزيران		١٩٢٠

المشرق

ثلاث زهرات نفيسة

في حديقة الكنيسة

للاب لويس شيخو اليسوعي

لمّا دخل كلوفيس اول ملوك فرنسة سنة ٤٩٦ كاتدرائيّة رنس ليصطبغ فيها بماء العموديّة ورأى تلك الكنيسة تتلألأ بالانوار وهي مزدانة بأبهى الحلي وانضر الرياش والظلل تحتفّ حولها الزينات وتحدق بها اكاليل الزهور اخذ منظرها بمجامع قلبه فصرخ مخاطباً لسقفها القديس ريمي : أهذه هي السماء التي وعدتني بها يا ابتِ ؟

إي نعم انّ في بعض مشاهد الارض ما يمثّل احيانًا وانْ تمثيلاً خفيفاً مسحةً من جمال السماء ومباهجها السرمديّة . ولا شكَّ في انَّ الحفلات التي تُقام في كنيسة مار بطرس يوم تثبيت قداسة اولياء الله لمّا يُعَدّ من جملة الرؤى السماويّة

وفي هذا الشهر الاصرم قد تكرَّرت ثلاثاً تلك المجالي الفتّانة لاكرام ثلث من العذارى الطاهرات بل من الزهرات العطرات التي نبتت في تربة فرنسة الكريمة عطَّرت بشذى فضائلها حديقة البيعة الكاثوليكيّة في آونة مختلفة . وقد ايد الله دالة تلك النفوس الذكيّة بالعجائب والمعجزات ما حمل ارباب الكنيسة الكاثوليكيّة على فحص سيرة كلٍّ واحدة منهنَّ واستقراء فضائلهنَّ وقيّات ما اجراهُ الله على يدهنَّ من الكرامات في حياتهنَّ وبعد مماتهنَّ . ولمّا تمَّ البحث الدقيق ثبت لدى اللجنة المعيَّنة لذلك انهنَّ ولا مراء يستحققن ان يُنظَمْن في عداد اولياء الله اصدر إمام الاحبار بندكتوس الخامس عشر البراءة المثبتة بذلك وعُقدت للاعلان الثلث حفلات قلّما يُقام مثلها رونقاً وبهاء في كنيسة مار بطرس في اليوم التاسع ثم

في الثالث عشر والسادس عشر من ايار الماضي تتقاطر الى الحظوة بمظاهرها الالوف المؤلفة من الزوّار من كافّة اقطار اوربّة واميركا ولاسيّما من فرنسة وطن هؤلاء العذارى حتّى ضاقت بجماهيرهم تلك الكنيسة مع رحبها وسعة أرجائها

وليست اسماء اصحاب تلك الحفلات مجهولة لدى معظم قرّائنا ألا وهنّ القديسة جان دارك والقديسة مرغريتا ماري الاكوك والطوباويّة لويزه دي ماريلاك اللواتي أطلعهنّ الله بدوراً في كنيسته وقد ظهرنّ في ثلاثة مراسح مختلفة فتدشّنها بجميل مآثرهنّ: الاولى في ساحات الوغى والثانية في مقدس بعض الاديار والثالثة في المستشفيات ومآوي كلّ الاسقام البشريّة. فتنويهاً بفضلهنّ ها نحن نورد خلاصة حياتهنّ التي شرّفت وطنهنّ الكريم بل شرّفت الكنيسة الكاثوليكيّة او قل الانسانيّة جمعاء. فبهنّ يصحّ قول الشاعر:

ولو كان النساء كمثل هذي
لفُضّلت النساء على الرجال



١ القديسة جان دارك

(١٤١١–١٤٣٠)

أكرم بها فتاة تلوح على محيّاها الصبيح سيماء اللطف والعزيمة. لله درّها ما أبهى تلك الفارسة في بزّتها الحربيّة على صدرها الدرع وعلى رأسها الخوذة

؛ يجاهل سيف لم تخترطه قط من غمده لأذى وفي يدها الراية البيضاء شعار ملوك
؛ الشائقة لطهارة قلبها وبرارة حياتها. بمتطية جوادًا تخوض بها معمعان الحرب
هذه هي جان درك مثال الشهامة والطهر وصورة حب الوطن والدين معاً
في الأمة الفرنسوية بمثابة دبورة في بني اسرائيل فأنقذت شعبها من عدوّ الد
؛ يبيد قومها ويستعبدهم تحت نير سلطانه المطلق

ـد سبقنا في مجلتنا (المشرق ١٢ [١٩٠٩]: ٣٢١ — ٣٣٧) وروينا اخبار الشهيدة الكبيرة فوصفناها في اطوار حياتها العجيبة كفتاة بارّة اذ كانت ـتها دومرمي ترعى غنم ابيها بسذاجة الاحداث. ثم اعتبرناها كرسول الله الى ـا بدعوة علوية اثبتت صحتها بما اجترحته من الكرامات والآيات المتعددة ـتدع لاحد ريباً في كونها من السماء. تتبّعنا آثارها في ساحات الوغى اذ صحت قائدةً لجيوش مليكها تملأ بحماستها واقدامها قلوب جميع المحاربين تحت رجاء بالنصر القريب وثقة بالظفر المبين لاسيّما بعد ان كسرت شوكة العدو ـن مدينة اورليان وفتحت الفتوحات الباهرة وفرّقت شمل الانكليز شذر مذر قادت ملك فرنسة شرل السابع الى حاضرة رمس فمُسح ملكاً على فرنسة التقدّس ولبس تاج اجداده الكرام ممجّداً معظّماً. وكلّ ذلك بموجب ما وبشّرت به جان درك بايعاز الاصوات السماوية التي سمعتها مرارًا دون ان ـكلامها حرف. وفي اثر ذلك وصفنا استشهادها وظروفه المؤثرة فظهرت في ـبظلم والشرف منها في حياتها بل كانت لها في موتها حياة مخلّدة رفعت بها الى ـليـاء الله ونظمتها في سلك اولئك العذارى اللواتي يتبعن الحمل ويتّسمن ويتمجّدن بمجده فضلاً عمّا نالتهُ في وطنها من الذكر الصالح وعرفان الجميل تمحوه الدهور

ـد شهدنا اذ ذاك تلك الطرفة بتشريف حفلة تطويبها في رومية في ١٨ نيسان حيث اعلن الحبر الروماني السعيد الذكر بيوس العاشر بسموّ فضائلها وسمح ـفي وطنها كطوباوية وشفيعة خاصة

ـذه الآن عشر سنوات مرّت على تلك المواسم الجليلة فنال اسم جان درك من الرفعة ما كان اقوى دليل على سموّ شأنها وعلوّ مقامها. فأُثنت على اسمها

الجمعيات الخيرية والشركات الوطنية والمشروعات الفقرية ليس في فرنسة وحدها بل في كل اقطار المعمور ولم تحرم منها بلادنا العزيزة . فزادت ثقة الناس بحمايتها والتجأ الى شفاعتها كثيرون من المؤمنين فكرمها الله بعدة معجزات باهرة ثبتت بشهادة الشهود العيانيين وفحص العلماء الاختصاصيين . وقد كانت نتيجة هذه الحرب الاخيرة آية من شفاعتها اذ حررت وطنها اللورين من ربقة مغتصبيه كما حررت سابقاً فرنسة من نير اعدائها . فدفعت كل هذه الدواعي الكرسي الرسولي الى ان يرفع درجة اكرامها ويعمم عيدها في الكنيسة ويبلغها منزلة كبار القديسين

وهذا ما جرى في الاحد الثالث من ايار في اليوم السادس عشر منه اذ عقدت في ام المدائن لتثبيت قداسة جان درك حفلة زادت على الحفلة السابقة عزاً ورونقاً . حضرتها الدولة الفرنسوية رسمياً بواسطة احد عظام رجالها السيو هانوتو المحرر لترجمة تلك الفتاة الشهيرة . وقد التفت حولها الجماهير الجمهورة التي تقاطرت الى عاصمة الكثلكة لتمجيد تلك الابنة المباركة التي رفعها الله من حضيض الذل الى اوج المجد

ولم يبق بعد هذه التظاهرات الشائقة الامر واحد يؤمل منه لفرنسة مستقبل عز ثابت وفخر دائم وهو اختيار عيدها كموسم وطني تشترك فيه كل الاحزاب السياسية على اختلاف النزعات والاهواء . فتكون رابطة حب ووئام بين جميع ابناء فرنسة ابنة الكنيسة البكر . وهو امر على وشك النجاز ستصادق عليه قريباً ان شاء الله ندوة العموم ومجلس الشيوخ . حقق الله الآمال



٢ القديسة مرغريتا ألاكوك

(١٦٤٧ – ١٦٩٠)

ولكن ما لنا وميادين الحروب وصلصلة الصوارم واصطكاك الجحافل وقراع الابطال . فان الانسان دعي الى

واج اعظم واشرف مع خصم اشد وارهب لا يبرز فيه فرسان القوة والبطش بل
دال الفضيلة وأعلام القداسة

ومن جملة الظافرين بهذه الحرب الروحية عذراء أخرى سطعت انوار قداستها في
مد اديرة رهبانيتها ثم انتشرت في انحاء فرنسة . وهاك اليوم اضواء اشعتها تنير
ادي العصور بتثبيت الكرسي الرسولي قداستها

هي مرغريتا مريم ألاكوك المحققة في شخصها معاني اسمها الكريم فكانت
لؤلؤة وردة ثمينة يستدخص كل غال بالنسبة الى جلال قدرها . كانت كالأقحوان
ة الحقول تزينت حديقة الرهبانية وعطرت روضة الكنيسة جمعاء . ترى في
ها صورة قلب فتحته حربة الجندي على الصليب فانبعث منه أتون نار اضطرم بها
أنها ثم عرضته على البشر انقاذ قلوبهم بمحبة خالقهم فيبذلوا دونه نفوسهم كما
د هو بنفسه حباً بهم

تاح لنا الله سنة ١٨٧٥ ان نزور الدار التي ولدت فيها مرغريتا الاكوك فتحول
معبد يتبارك الناس بالحج اليه . وهي بيت بسيط في وسط قرية شادول التي لا
د عن مدينة باره لونيال من اعمال بورغندية اكثر من سبعة كيلومترات . فهناك
ت النور تلك الفتاة البارة في ٢٢ تموز سنة ١٦٤٧ وهي ابنة قاض اشتهر باستقامته
وله وسيدة فاضلة ورعاً وحناناً . تربت في صغرها احسن تربية على يد والديها
ثم على يد عرابتها الشريفة الاصل ثم في دير راهبات القديسة كلاره في وطنها
بحت منذ نعومة الاظفار مثلاً حياً لكمال ازانها بكافة اعمال البر من استمرار
لاة وملازمة الصوم والتقشفات ومواظبة على الاسرار المقدسة الى ان بلغت ميعة
اب فحاول بعض اهلها ان يجيروا الى قلبها زخارف العالم وكادوا يفوزون بغايتهم
ان الله الذي كان اجتبى له قلب عبدته ارسل لها من المحن والاوجاع والاكدار
موم ما زهدها بعالم البوار ووجه عواطفها تماماً الى الله . على انها لم تفارق امها
خدمتها اصدق خدمة في اسقامها مدة سنين الى ان نالت نعمة الشفاء . فأخذت
ريتا وقتئذ عليها بان تسمح لها بالترهب . فردت الام مدة طلبة ابنتها لكنها
ت اليها آخراً خوفاً من ان تخالف ارادة الله

وكان الله قد اقام في كنيسته في ذلك القرن رهبانية جديدة انشأها احد كبار

لسافقة زمانه القديس فرنسيس دي سال مع البارونة الشهيرة بآثرها العظيمة أعني القديسة فرنسكا دي شنتال ودعواها برهبانيّة زيارة العذراء غايتها تقديس اصحابها وتهذيب الفتيات بالعلوم والآداب . وذلك سنة ١٦١٠ . فما لبثت ان انتشرت ايَّ انتشار في فرنسة والبلاد المجاورة . وفي لبنان بعينطورا دير من هذه الرهبانيّة سبق لنا الكلام عنهُ في المشرق (٤ [١٩٠١] : ٧٠٤)

ففي احد اديرة هذه الرهبانيّة دخلت مرغريتا الاكوك في ٢٥ ايار ١٦٧١ وهو دير باره لونيال المجاور لبلدتها شارول . وزادت على اسمها يوم ترهّبت اسم مريم شنيعة رهبانيّة الزيارة الخادمة

في يوم التشراء مرغريتا مريم الى الحياة النسكيّة عدّت نفسها ميتةً للعالم تحيا للربّ فجعلت نصب عينيها مثال القداسة والكمال السيّد المسيح لتطبع في قلبها سيرة حياته المحجوبة ثلاثين سنةً في الناصرة فانكبّت على ممارسة الفضائل التي علّمها البشر ولاسيَّما التواضع اساس القداسة والتجرُّد عن كلّ الاميال المنحرفة والطاعة التامّة لاوامر الرؤساء والانقطاع الى الاشغال الوضيعة والتفاني في خدمة اخواتها والفتيات اللواتي عُهد اليها تدبيرهنّ

فكانت هذه الفضائل كمغناطيس قرّب الى مرغريتا قلبَ الله الذي يعطف الى النفوس الساذجة ويختار الضعيف والجاهل من العالم ليخزي القويّ والحكيم (١ كور ١ : ٢٧) فاختصّها بنعمه الالهيّة واتّخذها عروسةً ذكيّة الرائحة يتنسّم عرفها الطيب

وكان اوّل ما حبّب الى نفسها الصلاة والتقشّف لتفرغ قلبها من تيار الاهواء البشريّة وتملأهُ من الله فتحيا بالمسيح بل يحيا المسيح فيها (غلاطية ٢ : ٢٠)

ولمّا كان الربّ من دأبه اذا اصطفى نفسًا ليسكب فيها اسنى هباته ان يُسرع فيشركها بعذابه بادر ايضًا الى ان يقدّم لعروسته كأس آلامه ليجعلها أولى بسوابغ نعمه . فاحدقت بها المصائب والاوجاع تترى فكانت تارة تعتريها الامراض المؤلمة المتواترة وتارة تتوارى عنها التعزية الروحيّة وعذوبة الصلاة وحينًا يتحامل عليها عدو الله الشيطان فيعذّبها بتجاربه ووساوسه الخبيثة . وربّما امتحنها الرؤساء ليعجموا عود صبرها وقداستها ويتحقّقوا أهي مقودة بروح الله او مغرورة بسواه . فكانت كلّ هذه المحن كالنار الماحصة للذهب خلّصت قلبها من كلّ شائبة ارضيّة

ولم تكن هذه المحن لتقوى على سحقها واتكالها على الله بل ظلّت تلتجئ الى ربها وتزيد فيه ثقة واعتصاماً ولاسيما بتقربها الى سر قربانه الاقدس حتى انقشعت من قلبها تلك الظلمات واخذ السيد المسيح يكشف لها غوامض محبته الالهية ويذيقها حلاوة الامور السماوية واتخذها خصوصاً الى عبادة قلبه الاقدس الذي طفح حباً نحو البشر واراد ان يتخذها وسيلة لنشر عبادة ذلك القلب الالهي فينعش في الكنيسة روح الحب والتقى الذي كاد يخمد بسبب انتشار البدعة الجانسنية مع جنوح البشر الى الاهواء العالمية وتلبّهم حطام الدنيا وملاذها . وقد حظيت تلك البتول القديسة بعدة رؤى . فتراءى لها الرب كشمس ساطعة تلقي باشعتها الى قلبها . وانتزع يوماً قلبها لجعله في قلبه المتقد ناراً فرأته كهباء منثور ورده لها كشعلة نار . والخص من هذه الرؤى ظهور السيد المسيح لها اذ كانت يوماً ساجدة امام القربان الاقدس غائصة في سر محبته فرأته بكل جلاله ملتحفاً بالنور . واذا بصدره المفتوح يلوح فيه قلبه المجروح ينبعث منه لهيب النار ويعلوه الصليب وحول القلب اكليل الشوك فقال لعبدته : « هذا هو القلب الذي بلغ حبه للبشر أي مبلغ حتى انه لم يدّخر وسعاً في بذله نفسه لهم ومع كل هذا لم يجد في اكثرهم الا برودة وفتوراً » ثم دعاها الى التعويض عن اهانات البشر وأرشدها الى ما توفي به من تكرامهم الجميل . ووكل اليها نشر العبادة الى قلبه معدّداً ما سيناله المتعبدون له من النعم السابغة

ومذ ذاك الحين لم تأل مرغريتا جهدها في اتمام رغبة المخلص فاخذت تنشر هذه العبادة اولاً بين طالبات رهبانيتها التي كانت هي المرشدة لهن ثم بين الراهبات اخواتها وبين معارفها المترددين الى الدير

وقد اتاح الله لها احد مشاهير عصره المكرم الاب كلود دي لاكولمبار اليسوعي كمرشد لنفسها . فبذا بعد ان تحقق صحة دعوتها اخذ يساعدها في اجتذاب النفوس الى عبادة قلب يسوع وانتشرت في عهد الآباء اليسوعيين بوكالة خاصة من الرب الى عبدته مرغريتا . فما مر على ذلك زمن طويل حتى ظهرت مفاعيل تلك العبادة العجيبة الى زماننا هذا حيث أقيم على ربوة مونمرتر في باريس ذلك المعبد التعويضي المكرس لقلب يسوع الذي هو احدى آيات الهندسة العصرية فبلغ ما صرف على بنائه الى اليوم نيفاً واربعين مليوناً من الفرنكات . وقد وضع آخراً الكردينال غباري الحجر

الاول لعبد آخر سيقام قريباً ان شاء الله لذكره على جبل الزيتون بجوار القدس الشريف

لم تطل حياة مرغريتا مريم فانها اذ وجدت ان المهمة التي عهدت اليها من قبل الربّ قد تمّت بانتشار عبادة قلب يسوع حسن دوبها اولاً ثم خارجاً عنهُ في انحاء اوربة مع مصادقة الكرسي الرسولي اخذ منها الفرح كلّ مأخذ حتى لم تعد تتكر الاّ بان تجتمع بعروس نفسها في السماء فأخذها حبّاً له فماتت قريرة العين باسمة الثغر وهي في عز كهولتها في ١٧ ات ١٦٩٠ وعمرها لا يتجاوز ٤٣ سنة

وقد مجدها ختنها الالهي في السماء والارض معاً بما اصطنعهُ من العجائب بشفاعتها حتى ادرجها اولاً البابا بيوس التاسع سنة ١٨٦٤ في سفر الطوباويات وها هي اليوم قد نالت مجداً اعظم بنظمها في سلك البتولات القديسات

٣ الطوباويَّة



لويزه دي ماريلاك

(١٥٩١—١٦٦٠)

هي الزهرة المنويّة الثالثة التي قدمتها الكنيسة البطرسيّة لاولادها كي يستنشقوا أريجها العطر وينعشوا النفوس بطيب نفحاتها . لتشبه جان درك ومرغريتا الاكوك بقداستها وان اختلفت عنها بآثرها

ولدت لويزه في باريس من أسرة شريفة في ١٢ آب ١٥٩١ . كان ابوها سيداً على فريلر من مقاطعة اقليم ڤنداي اسمه لويس دي ماريلاك وأمها ماري لوكلمو التي رُزيت في صغرها بوفاتها الآن اباها وكان عريقاً بالدين ومن اكمل الرجال عقلاً وأسدهم رأياً سلّمها اولاً لاحدى اخواتهِ المترهبة في دير بواسي الملكي المعدّ لتربية بنات

الاشراق . ولمّا بلغت اشدّها تولّى هو بنفسه تهذيبها فخرّجها بكل آداب عصره من الفنون الجميلة والفلسفة مع درس اللغة اللاتينيّة لغة العلماء

وبقيت الفتاة مع هذا على سذاجة فطرتها لا تجد في غير الدين واعمال التقى لذةً وانشراحاً . وزاد نفورها من العالم اذ توفّى الله اباها وعمرها لم يتجاوز ١٥ سنة . وكانت تودّ لو تستطيع ان تدخل في جمعيّة الراهبات الكبوشيّات لولا انَّ ضعف صحّتها حال دون تحقيق امانيها . ولم يزل بها اهلها حتى اقنعوها بان تقترن باحد سراة الدولة الفضلاء السيو انطون له غرا (le Gras) كاتب اسرار الملكة ماري دي مديتشيس في ٢ شباط ١٦١٣ فعاشت معه اثنتي عشرة سنة بممارسة كلّ الفضائل الاهليّة التي وصفها سليمان الحكيم في سفر الامثال من حبّ لزوجها وحسن تربية لابنها وقيام بشؤون بيتها وخدمها وانقطاع الى الشغل واحسان الى الفقراء والمساكين مع المحافظة الدقيقة لكل اوامر الكنيسة . حتى جعلت بيتها اشبه بدير منه بدار الاشراف . وقد زارها فيه ارباب الدين وخصوصاً القديس فرنسيس دي سال العاطر السمعة

ترمّلت السيدة له غرا في ٢١ ك ١ سنة ١٦٢٥ اذ مات زوجها ميتةً صالحة فورثت منه مالاً وافراً اخذت تجود به على البائسين . وكان مرشدها الاول كبوشي فاضل الاب هونوره ثم السيد له كامو (le Camus) اسقف بلاي وهو من قرابتها لكنَّهُ لبعد مقامه عنها انتدب لارشادها ذاك رجل الله القديس منصور دي بول احد اقطاب الدين وسند المشروعات الخطيرة التي أُنشئت بهمّته ومسعاه في كلّ انحاء دولة فرنسة

فما باشر الأبا منصور بتدبير تلك النفس الكريمة حتى عرف سموَّ فضلها وارتياحها الى كل عمل شريف ومشروع خيري . على انهُ لم يسرع في دفعها الى كلّ ما كان يطلبهُ قلبها من الصلاح فامتحنها مدّةً قبل ان يسمح لها بان تربط نفسها بالنذر الى الله في خدمة القريب وذلك في السنة ١٦٢٩ . فصارت مذ ذاك اطوع له من بنانه في مباشرة كلّ ما يؤول الى مجد الله وصلاح القريب

وكان القديس منصور انشأ قبل ذاك الحين بمدة قليلة جميعات خيرية كان يدعوها بجميعات اخوات المحبّة انتشرت في عدّة مدن من فرنسة تنضمّ اليها سيدات .

من افاضل النساء يُعتنين بامور المرضى والبؤساء . فارسل السيدة لويزه دي ماريلياك الى زيارة تلك الجمعيات وتنظيمها واصلاح ما لعلهُ طرأ عليها من الخلل . فقامت بهذا الامر احسن قيام فكانت حيثما حلّت تُنهض الهمم وتبعث في الجميع روح الغيرة والنشاط . وكان مثلها اقوى فعلاً من كلامها فتسبق الكل بعيادة المرضى واسعاف المسقومين بل اقدمت على تمريض المطعونين ولم تنجُ من الداء الا بنعمة خاصة من الله . وقد انشأت جمعيات جديدة من جمعيات اخوات المحبة فنما عددها وتوافدت الناس الى مساعدتها . ولم تكتفِ لويزه بخدمة الاجساد بل كان همّها الاعظم تقديس النفوس وقد استرخصت من خوارنة الرعايا بان تجمع الفتيات وتعلّمهنّ حقائق الدين وممارسة اعمال التقى وتكرم بمالها على من كانت منهنّ محتاجاً

خمس سنوات قضتها السيدة لويزه في كلّ هذه الاعمال المبرورة أمرت فيها عن اطيب الصفات بخدمة الشقيات . هذا العالم وتعاسته . وكان عدد عديد من النساء البتولات طلبن منها ان يخصصن ذواتهنّ لخدمة البؤساء مثلها فاجابت الى ملتمسهنّ . ثم اتفقت بعد برهة مع القديس منصور ان تُنشئ بهنّ جمعيةً قانونيةً فيعشن في اديرة خاصة ذات هيئة رهبانية منظّمة غايتها ممارسة اعمال الرحمة نحو القريب . فانتظم في هذه الجمعية بعض الشركات بشركة اخوات المحبة السابق ذكرهنّ وشركة بنات الفقراء التي كان انشأها القديس منصور قبل ذلك سنة ١٦١٧ . وتمّ الامر في ٢٥ آذار سنة ١٦٣٤ حيث ابرزت لويزه دي ماريلياك نذور الفقر والعفة والطاعة بين يدي مرشدها الجليل وتعيّنت رئيسة على الراهبات التابعات لطريقتها . وما فتئت ان وضعت لهنّ قانوناً مملوءاً حكمةً وتقًى تحت نظارة القديس منصور . فاثبتها اولاً رئيس اساقفة باريس سنة ١٦٥٥ ثم تقرّرت بتثبيت الكرسي الرسولي سنة ١٦٦٨ . وقد اختارت راهبات المحبة لتزيّيهنّ ثوب نساء العامة في ذلك العهد وبقين عليه الى يومنا واتخذن لتدبيرهنّ الروحي كهنة الرسالة المعروفين بالعازاريين الذين انشأهم القديس منصور

دخلت جمعية راهبات المحبة في طور جديد يوم انتظامها قانونياً وصارت مذ ذلك ترقى معارج التقدم والنجاح فتراكمت عليها طلبات البلاد مباشرة بمدينة باريس التي سلّمت اليها ادارة اكبر مستشفياتها (Hôtel-Dieu) ومثلها فعلت معظم مدن فرنسة

ولم يكتفين بالمستشفيات فانَّ الرئيسة الفاضلة لم يبانها خبر سقم يجري ايّاً كان حتى كانت تسرع الى علاجه فن ذلك انها فتحت في باريس سنة ١٦٣٦ معزلاً كبيراً للقطاء الذين بزمن قليل كادوا يبلغون الالف عداً

ثمّ رضيت بفتح مأوى للعجزة رجالاً ونساء في السنة ١٦٥٣ ولم تلبث حتى الحقت به مأوى آخر لخدمة المجانين . فكانت كلّ هذه المقامات تصيب في ايدي راهبات المحبة نجاحاً كبيراً لحسن تدبيرهـا وتجهيزها بكل ما يؤول الى راحة اوقات المنقومين . وكان الزوار اذا زاروها يحسدون اليها بسخاء

ولما جرت في عهـد الملك لويس الرابع عشر تلك الحروب الطويلة بين فرنسة والدول الاوربيّة المختلفة طلب القوّاد الفرنسويّون مساعدة راهبات المحبة لمعالجة المرضى والمجروحين في ساحات الحرب فلبّت رئيستهنّ الفاضلة الى دعوتهم وسرّ الجنود بحضورهنّ اي سرور حتى أنهم كانوا يموتون بفرح بين ايديهنّ

وكذلك فعلت ملكة بولونيا لويزه ماري دي غنزاغا ابنة دوقة دي نوفير فانها طلبت راهبات المحبة لمرافقة جنودها في الحرب وكانت أعجبت بتفانيهنّ يوم زارت مآويهنّ في باريس

وقد انتشرت بزمن قليل سمعة هؤلاء الراهبات في مملكات فرنسة فاخذ مأموروها يتسابقون في الطلب الى لويزه دي مارياك لترسل بناتها الى نواحيهم فتحت عدّة مستشفيات في بلاد شبانية وبيكردية ولورين حتى اصبح اسمهنّ مرادفاً للملائكة المحبة . ومن مآثرهن الجليلة خدمتهنّ للمجرمين والاثمة الذين حكم عليهم بالاشغال الشاقة لجناياتهم المستقبحة فرددن كثيرين منهم الى التوبة والصلاح

اما رئيستهنّ القديسة فكانت تتكاثر لتفي برغبة كلّ الطالبين وتسبق جميع بناتها في كلّ اعمال الرحمة والشفقة وهي غالباً منهوكة القوى مصابة بعدّة اوجاع تلزمها الفراش دون ان تخلف همّتها في شيء . وكانت تستمدّ قوى من علٍ من القربان الاقدس الذي تعبدت له تعبّداً خاصاً ولاسيّما من قلب يسوع الاقدس الذي سبقت وعرفت كنوزه الثمينة قبل انتشار عبادته على يد القديسة مرغريتا مريم . وقد وجدوا لها آثراً في باريس اثراً غاية في النفاسة وذلك صورة جميلة رسمتها لويزه بيدها تمثل شخص السيد المسيح ربّ الجلال واقفاً وباسطاً يديه المثقوبتين بالمسامير وهكذا

رجلاهُ البارِكتان . اما صدرهُ فيلوح منهُ قلبهُ الاقدس يشعُّ نورًا حولهُ وكثيرًا ما كانت الطوباويَّة دي ماريلياك تجثو امامهُ في حجرتها . وفيهِ اعظم دليل على عبادتها لقلب الربّ

انطفأ نور حياة منشئة راهبات المحبَّة في ١٥ آذار سنة ١٦٦٠ فماتت في قبلة الربّ ميتة الابرار وسبقت بذلك رفيقها في اعمالها المجيدة ومرشدها الكريم القديس منصور فمات بعدها باربعة اشهر وكان آخر اعماله قبل وفاته انهُ دعا كافَّة راهبات المحبَّة في باريس وألقى عليهنَّ محاضرة في فضائل امهنَّ فكان خطابه احسن ثناء على حياتها المبرورة . وها قد ايد الكرسي الرسولي حكمة في قداستها ببراءة البابا بندكتوس الخامس عشر مثبتًا لسمو فضائلها وصحة العجائب التي اظهرها الله بشفاعتها . ومن اعظم هذه العجائب نموّ سلالتها الكريمة التي استوقفت نظر العالم بأجمعه في انهُ مدة ثلثمائة سنة من الاعمال الشريفة لملاجئ كلّ الاسقام البشريَّة . فتهنّئ سائر بناتها لا فاتهنَّ مليئاتهنَّ من الاكرام والشرف وتتمنى لهنَّ بشفاعتها ان يزددن كلّ يومٍ عددًا وفضلًا لمجده تعالى ولخير الانسانيَّة عمومًا

اللاهوت البدوي في شرقي الاردن

بقلم حضرة الخوري بولس سلمان

من رام ان يسطِّر بحثًا وافيًا وقولًا شافيًا من ديانة البدوان فقضى عليهِ النقدُ الصحيح والعلم الراهن ان يقيم بين خيامهم حينًا طويلًا ضبورًا على معيشتهم وعاداتهم رابط الجأش للاستقصاء عن سرائرهم وطيات نفوسهم . وهذا الدرس على عزّته وتعذُّر مناله لم يَخُض فيه الّا نادرًا العلماء المبرّزون والكتبة القرساون فلذلك لم اطمع ان أفيهِ حقَّهُ وأحيط به من سائر اطرافه فاقول :

اعتقاد اهل البادية بالله ووصفهم له

بدء الحقائق الدينية واساسها هو وجود الله عزّ وجلّ . فالأعراب لا ينكرونه لا بل يتجلّى عندهم في سائر اطوار حياتهم . لا ريب ان الجهل يسود على عقولهم فلا يعرفون معنى صفاته الحسنى ويعجزون عن بيان طبيعته العظمى بشرح واضح يسفر عن الحقيقة عقليًّا ويُبديها جليًّا غير انهم لا يشكّون فيها . وقد تاه في بيداء الضلال من ادّعى ان لا دين لاهل البادية . واذا سألنا اهل البادية ما هو الله ؟ يقولون « الله خالق (خالق) الدنيا . هو رب رحيم » . واذا استوضحناهم عن غير ذلك يجيبون بهذه العبارة الجامدة « لا ندري . الله يدري » او : « لا نعلم . الله يعلم . من يدخل في علم الله . هو القدير وبكل شيء عليم . يحيي ويميت »

قلنا لاعرابيّ يومًا اين يوجد الله قال : « الله يسكن في السماء فوق سابع سماء بين النجوم فاذا حرّك يده ظهرت الكواكب بألوانها السابية وصمدت النجوم . والقمر يسبح في الفضاء . يرسل انواره الفضيّة » فتارة يمثّلون الله بحديثهم كشيخ طوى مراحل الحياة فلعب البياض بلحيته وطورًا بفارس بطل يجول في الاقطار باقلّ من لمح البصر . قال مزعل الشراري : « ان الله يملأ الدنيا كأنّه حصانًا اسرع من وميض البرق يطوي العالم من الفضاء الى الفضاء ويراقب الاعمال ويعلم النيات »

سألتُ يومًا عبد الهادي شيخ العوازم وقاضيهم الادري : كيف خلق الله العالم؟ قال : « نحن العرب لا ندري ولكن الخطيب يعلّمنا ان الله تعالى خلق الخلق من اربعة اشياء . خلق الملائكة من نور والجانّ من نار والبهائم من ماء وآدم من طين . واوّل ما خلق الله تعالى من الحيوانات النحلة وآخر ما ابدع القرد . واول ما انشأ من النبات الكمأة واول ما كوّن في الارض المعادن ثم النبات ثم الحيوان ثم الانسان وهو آخر المخلوقات » . قال : « لما اراد المولى سبحانه تعالى ان يخلق آدم أوحى الى الارض اني أريد ان اخلق منكِ خلقًا منهم مَن يطيعني ومنهم مَن يعصيني . فبكت الارض فانفجرت منها العيون وهذا اصل الينابيع . وزيّن الله ادم بانواع الزين فكان يخرج من ثناياه نور كشعاع الشمس ثم حُمل على اكتاف الملائكة وطافوا به في السماوات مقدار مئة عام ثم سكن الجنة والجنة ليست على الارض . ولما اخطأ واكل

من الشجرة المحرَّمة بكى عليهِ جميع ما في الجنة الّا الذهب والفضة وشجر العود فناداهم المولى وهو على العرش وقال : لِمَ لا تبكون على عبدي ؟ قالوا : ربَّنا لا نبكي على عبد تستعبده بجنبنا . فقال : لو كان عندكم رقَّة لبكيتم خوفاً فوَعزّتي وجلالي لا ينتفعُ بكما (اي الذهب والفضَّة) الّا بدخولكما النار . وانتِ يا شجرة العود لا يفوح لكِ عطر الّا في النار الملتهبة .

ولهم اعتقادات غريبة في خلق الارض نذكرها على علّاتها . كنت يوماً غريباً ماديا في خيمة الشيخ محمد الخراطرة وهو شيخ عرب الجزايدة وله إلمام في الامور الدينيَّة فسألتهُ عن الارض وخلقها فقال : « الخطيب صاحب العمامة البيضاء يقول : لمَّا خلق الله الارض بعث من تحت العرش ملاكاً فهبط الى الارض ودخل تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقهِ واحدى يديه بالشرق والاخرى بالغرب فضبطها ولم يكن لقدمَيهِ موضع قرار فاهبط الله من الفردوس ثوراً وجعل قرار قدمَي الملاك على سنامهِ فلم يستقرّ فاخذ الله ياقوتةً حمراء غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها على سنام الثور فاستقرّت عليها قدماه . ولذلك الثور اربعون الف قرن ومنخراه في البحر فهو يتنفَّس كلَّ يوم تنفُّساً واحداً فاذا تنفَّس مدَّ البحرَ واذا ردَّ نفسه جزرَهُ » .

ومن معتقداتهم الجارية مجرى الحديث هو ان حكم القدَر امرٌ لا مردَّ له وفقاً لقول الشاعر العربي :

جرى قلمُ القضاءِ بما يكونُ فسيّانِ التحرُّكُ والسكونُ
جنونٌ منك ان تسعى لرزقٍ ويُرزقُ في غشاوتهِ الجنينُ

فالله هو المسبّبُ لكلِّ شيءٍ من خيرٍ او من شرٍّ (١) فالانسان نفسهُ اصبح خالياً من حرّيّة الارادة لا بل هو ذرّة حقيرة تتناقلها ايدي الاقدار كيفما شاءت وتتلاعب بها كما يتلاعب الطفل بكُرَتهِ الصغيرة . فالمولى هو المتسلّط العظيم لعالم الأكوان . من يا ترى يسقي الارض بماء غزير فتنشأ منهُ الازهار وتنضج الاثمار وتخضرّ السهول والهضاب ؟ هو الله عزّ وجل . وكم من خارقة يعزونها الى الله . فبينما السماء صافية والارض في راحة وهناء اذا بزوابع شرقيَّة تتصاعد كأعمدة نحو الفضاء فتغدو زوابع

(١) الشرّ امّا مادّي او طبيعي وامّا ادبي فالشر الطبيعي يعزى نسبتهُ الى الله وامّا الادبيّ فالله ليس هو مسبّباً له وان يسمح به . وامّا الانسان فيأتيه بارادتهِ وحرّيّتهِ

فالأعراب يذكرون الله في مطلع اعمالهم واقوالهم. ففي ابتياع امر يضع البائع يده في يد الشاري فيقول الشاري: « باسم الله وأفلح وصلّ على النبي » ثم يتبايعون. واذا احتدّ البدوي غيظًا واراد احد الحاضرين ان يهدّئ هائجه يقول له: « سمِّ بالرحمان واطرد الشيطان » او: « استعذ بالله من شرّ الوسواس الخنّاس »

وكان عرب الجاهلية يذبحون للاصنام ويلطخونها بالدم فيلتمسون بذلك الزيادة في اموالهم وكان قُصي بن كلاب ينهى عن عبادة غير الله وهو القائل

أربًّا واحدًا ام ألف ربٍّ   أدين اذا تقسّمت الامورُ
تركتُ اللات والعزّى جميعًا   كذلك يفعل الرجل البصيرُ

على ان اهل البادية الحاليين وان كانوا لا يعبدون الاوثان فهم بأجمعهم يأنسون الى المعتقدات الطبيعية ويكرمون الاحجار المقدَّسة والاشجار المُورقة والمياه الرقيقة التي يَعزون اليها شفاء الامراض فيقدّمون لها ذبائح شكر كما سندلّ عليه في باب الذبائح البدوية . ويعتقدون اعتقادًا شديدًا براحم الله ويقولون: مَن اغتسل بعد موته فقد نال صفح الجرائم ودخل الجنّة لا محالة . وكان الجاهليون يقيمون لذلك الغسل اعتبارًا جزيلًا . ومن ذلك قول الافوه الاودي:

ألا علّلاني واعلما انني غَرَرْ   فما قلتُ ينجيني الشفاق ولا الحذرْ
وما قلتُ يجديني تراثي اذا بدتْ   مفاصل اوصالي وقد شخص البصرْ
وجاءوا بماء بارد يغسلونني   فيا لك من غسل سيتبعه النَّشَرْ

فالشعراء قادة العشيرة عند الاعراب يستهلّون نظمهم بذكر الله فكان العرب في عهد جاهليتهم يستهلّون بالبكاء على الاطلال والتشبيب والتغزّل . على ان ارباب الشعر في دهرنا الحاضر لم يقتفوا آثار اسلافهم فهم يبدأون بمدح المولى وصفاته كقول احدهم

ابدي بذكر الله على الكل بادي   رب الملا والي جميع البوادي
يا رب لا تكتب عليّ نكار   وعليك عون الامور الصعبات

فالاسم الكريم هو مطلع قصائدهم كما ابنّاه في مقالتنا عن الشعر البدوي حيث اوردنا امثلة عديدة في ذلك (١)

١) راجع في المشرق (٢٣ [١٩٢٥] : ٢٢٥) مقالة الشعر البدوي في شرقي الاردن

فاهل البادية يقسمون باسم الله الرفيع في سائر اطوار حياتهم حتى قبل الغزوات والحروب وقبل ان يذبحوا النفوس الكريمة . وقد يظهرون ايمانهم بالله بما يقيمون له من الأقسام المغلّظة . وقد ذكرنا عدداً وافراً من الاقسام في مقالتنا من القاضي البدوي وقلنا من هذه الاقسام قسم عظيم فاذا ارادوا ان يحملوا انساناً على الحلف يقولون له : «قل ثلاث كلمات : اولها الله وآخرها الله والكاذب بريء من الله انك ما فعلت الامر الفلاني» . فيجيب امام الجمهور بصوت مرتفع : «اقول ثلاث كلمات اولها الله وآخرها الله والكاذب بريء من الله اني ما فعلت كذا كما تدعي» . فمن هذه الادلة يظهر بجلي البيان انهم يعبدون الله جلّ جلاله ويقدمون له فرائض الاكرام والاجلال

الذبيحة في البادية

ومن دلائل العبادة بين الشعوب هي الذبيحة . وهي كثيرة عند الاعراب يُنزلونها منزلة رفيعة حتى لقد غدت جارية مجرى الضرورة في جميع اطوار حياتهم . ونقتصر الان بذكر بعض الذبائح التي من شأنها ان تبدي عبادتهم واعتقادهم بالله . مَن رام من الشبان ان يفترق عن اسرته ويرفع لنفسه بيتاً شَعْرياً جديداً عليه ان يقدم ذبيحة شكراً لله على ما انعم عليه من غابر الازمان وطلباً لآلائه في مقتبل الايام . اجلْ انه لأمر جدير بالاعتبار ان يشيد المرء بيتاً بين هاتيك البيوت العديدة لانه يصبح ذا رأي ويعرف معنى الحرية والحياة الذاتية . فهذا البيت الحقير الذي لا يكاد يحجب اشعة الشمس ويطفئ وقدات الحر له ذبيحة خاصة . يأتي الشاب بنعجة بيضاء ويدير رأسها نحو الجنوب وينحرها وهو يقول : «دستور يا صاحب البيت» ويلطخ اعمدة البيت وينضحه بدمها قائلاً : «يا ربّ الفلا تحفظنا من العين والبلى» . وفي البيوت الحجرية ينحرون النعجة على سطح القام فيسيل دمها على الحائط الى ان يصل الى عتبة البيت . وقد شهدنا هذه العادة في السلط والكرك وماعين ومادبا

وفي كل خطوة من خطوات الاقتران لهم ذبائح معروفة باسمائها . فمنها ذبيحة البدّاع او الخطبة ومنها ذبيحة الحنا ، والتبريد والحليّة ويكون ذلك بعد احضار العروسة على فرس أصيلة الى بيت العريس . فينهض الشاب ويذبح الشاة وهو يقول : «حامي حلّتك الله» اي ان الفتاة غدت حليلة له . ومن ذبائحهم هذه يظهر لنا ان كل

امر جليل خطير يكرّس بالدم . ولهم ذبائح متعدّدة للاموات ينحرونها على لحدهم فتُهراق الدماء على الميت . ومنها ذبيحة المولود الذكر والخاتنة والضحيّة الكبرى . افردنا لها باباً مسهباً نوردها في محلها ان شاء الله

صلوة اهل البادية

ومن اعظم الحجج على تديّن الاعراب هي الصلاة . هل يا ترى يعرفون البسملة كما يذكرها القرآن الشريف ؟ كلا ان عدداً وافراً يجهلون وجودها . واذا استنبأتهم عن تقصيرهم هذا في امور دينهم وآخرتهم يجيبون : لسنا خطباء . والخطيب عندهم هو الإمام المدرّس للشرائع الاسلامية . فقلّما وجدنا الصلاة منتشرة بينهم . ولعل البادية لا يبالون بفروض الشكر والاستغفار بل يدعونها للدولاني كما يقولون . والدولاني في لغتهم هو كلّ من دخل في منصب من مناصب الدولة كالمفتي والقاضي والموظفين والجنود . غير انّ الفلاحين اصحاب القرى في شرقي الاردن يقيمون الصلاة علناً ويسجدون السّجدات المعهودة وفقاً للشرع المحمدي . وكثيرون من اهل البادية لا يعتبرون ما هو مسطّر من الصلوات بل يعرفون غيرها فيوردونها قائلين : « يا رب فرشت عباتي اقبل صلاتي » ثم يأخذون بذكر صلاتهم التي ألفوها

ولقد يوجد في شرقي الاردن عشيرة تدعى عشيرة العَزايدة وهي تضرب خيمها في غربي مادبا وتسرّح اغنامها في ارض الحمرة وهي جبال ممتدة شرقيّ نهر الشريعة الى قرب جبل موسى . وهذه العشيرة قد اشتهرت بالنهب والسلب والتعديات المتواصلة فتراها تهجم في ظلمات الليالي وظلماته الى الضواحي والسُبل المنفردة فتسرق ما يقع بين يديها من غنم وشاء وغير ذلك من امتعة المسافرين غير انّ شيخهم ابا بنيّة او محمد الحواطرة لا يدع فرض الصلاة والوضوء . ولا ندري ايّ ملاك يرفع تلك التضرّعات الى عرش المولى . وهو زعيمهم في الجرائم المتواصلة . ولقد جمعني واياه مجلس فرح في منزل سليمان الحدادين في قرية ماعين فكان يتحدث بالتؤدة والوقار فيضرب تارةً الامثال الهزلية وطوراً يسرد الحكايات والحكميات مما أعجب الحاضرين . فلم يكن ليتبسّم ثغراً ولا يبدي حركة في حديثه مما يخرج عن حدود اللطف والانس . ولما رأى الشمس قد قاربت المغيب نهض ففرش عباءته وصلّى صلاته .

فاهل البادية يقرنون باسم الله الرفيع في سائر اطوار حياتهم حتى قبل الغزوات والحروب وقبل ان يذبحوا النفوس الكريمة . وقد يظهرون ايمانهم بالله بما يقسمون له من الأقسام العظمة . وقد ذكرنا عدداً وافراً من الاقسام في مقالتنا عن القاضي البدوي وفاتنا من هذه الاقسام قسم عظيم فاذا ارادوا ان يحملوا انساناً على الحلف يقولون له : «قل ثلاث كلمات : اولها الله وآخرها الله والكاذب بريء من الله انك ما فعلت الامر الفلاني» . فيجيب امام الجمهور بصوت مرتفع : «اقول ثلاث كلمات اولها الله واخرها الله والكاذب بريء من الله اني ما فعلت كذا كما تدّعي» . فمن هذه الادلة يظهر بجلي البيان انهم يعبدون الله جلّ جلاله ويقدّمون له فرائض الاكرام والاجلال

الذبحة في البادية

ومن دلائل العبادة بين الشعوب هي الذبيحة . وهي كثيرة عند الاعراب يتزلونها منزلة رفيعة حتى لقد غدت جارية مجرى الضرورة في جميع اطوار حياتهم . ونقتصر الان بذكر بعض الذبائح التي من شأنها ان تبدي عبادتهم واعتقادهم بالله . مَن رام من الشبان ان يفترق من اسرته ويرفع لنفسه بيتاً شعرياً جديداً عليه ان يقدم ذبيحة شكراً لله على ما انعم عليه من غابر الازمان وطلباً لآلائه في مقبل الايام . اجلْ انه لأمر جدير بالاعتبار ان يشيد المرء بيتاً بين هاتيك البيوت العديدة لانه يصبح ذا رأي ويعرف معنى الحرية والحياة الذاتية . فهذا البيت الحقير الذي لا يكاد يخفي لشعة الشمس ويطفي . وقدات الحر له ذبيحة خاصة . يأتي الشاب بنعجة بيضاء ويدير رأسها نحو الجنوب وينحرها وهو يقول : «دستور يا صاحب البيت» ويلطخ اعمدة البيت وينسجه بدمها قائلاً : «يا ربُّ الفلا تحفظنا من العين والبلى» . وفي البيوت الحجرية ينحرون النعجة على سطح القام فيسيل دمها على الحائط الى ان يصل الى عتبة البيت . وقد شهدنا هذه العادة في السلط والكرك وماعين ومادبا

وفي كل خطوة من خطوات الاقتران لهم ذبائح معروفة باسمائها . فمنها ذبيحة الدماء او الخطبة ومنها ذبيحة الحنا ، والتجريد والحليّة ويكون ذلك بعد احضار العروسة على فرس أصيلة الى بيت العريس . فينهض الشاب ويذبح الشاة وهو يقول : حأي حلّلك الله » اي ان الفتاة غدت حليلة له . ومن ذبائحهم هذه يظهر لنا ان كل

ر جليل خطير يكرّس بالدم . ولهم ذبائح متعددة للاموات ينحرونها على لحدهم
تُهراق الدماء على الميت . ومنها ذبيحة المولود الذكر والختانة والضحيّة الكبرى
ردنا لها باباً مسهباً نوردها في محلها ان شاء الله

صلوة اهل البادية

ومن اعظم الحجج على تديّن الاعراب هي الصلاة . هل يا ترى يعرفون البسملة
ا يذكرها القرآن الشريف ? كلّا ان عدداً وافراً يجهلون وجودها . ولذا استنبأناهم
: تقصيرهم هذا في امور دينهم وآخرتهم يجيبون : لسنا خطباء . والخطيب عندهم
الإمام المدرّس للشرائع الاسلامية . فقلّما وجدنا الصلاة منتشرة بينهم . واهل
دية لا يبالون بفروض الشكر والاستغفار بل يدعونها للدولاني كما يقولون .
دولاني في لغتهم هو كلّ من دخل في منصب من مناصب الدولة كالمفتي والقاضي
وظفين والجنود . غير انّ الفلاحين اصحاب القرى في شرقي الاردن يقيمون للصلاة
: ويسجدون السّجدات المعهودة وفقاً للشرع المحمدي . وكثيرون من اهل البادية
متجرون ما هو مسطّر من الصلوات بل يعرفون غيرها فيوردونها قائلين : « يا رب
ت عباتي اقبل صلاتي » ثم يأخذون بذكر صلاتهم التي ألفوها

وقد يوجد في شرقي الاردن عشيرة تدعى عشيرة العَزايدة وهي تضرب خيمها
ربي مادبا وتسرّح اغنامها في ارض الحمرة وهي جبال ممتدة شرقيّ نهر الشريعة
قرب جبل موسى . وهذه العشيرة قد اشتهرت بالنهب والسلب والتعديات المتواصلة
ما تهجم في ظلمات الليالي وطيّاته الى الضواحي والسُّبل المنفردة فتسرق ما يقع
بديهـا من غنم وشاء وغير ذلك من امتعة المسافرين غير انّ شيخهم ابا بنيّة او
الخراطرة لا يدع فرض الصلاة والوضوء . ولا ندري ايّ ملائك يرفع تلك
رْعات الى عرش الولي . وهو زعيمهم في الجرائم المتواصلة . ولقد جمعني واياه
فرح في منزل سليمان الحداديّن في قرية ماعين فكان يتحدث بالتؤدة والوقار
ب تارةً الامثال الهزلية وطوراً يسرد الحكايات والحكميات ممّا أعجب
رعة . فلم يكن ليتبسّم ثغرا ولا يبدي حركة في حديثه ممّا يخرج عن حدود
ب والانس . ولمّا رأى الشمس قد قاربت المغيب نهض ففرش عباءته وصلى صلاته .

فقال احد الحاضرين: يسأل المولى ان لا يدعه بدون مرزوق في تلك الليلة. ثم التفت اليّ وقال بصوت منخفض: « أتدري مـاذا يقول؟ » . قلت: كلا. قال: يضرع ويقول: « يا رب تُضلُّ المسافرين وتخرجنا من بيتهم سالمين غانمين » . فضحك الحضور من هذا التأويل اللطيف

واليكم صلاة الشراريات لا بل صلاة ارباب الخيم البعيدين عن المدن القرى. وهي غريبة في بابها سمعتها من عليان الشراري في قرية مادبا : « يا الله يا الله يا الله . قامت الصلاة والله اقاما. يارب فرشت سباتي تقبل صلاتي الحمد لله حَمد البلاد بالمطر . حَمد الانثى بالذكر . حمد العين بالنظر . حمد من شاف عورة وستر . يا ماحي السيئات امحي سيئاتي . يا كاتب الحسنات تكتب حسناتي وترحمني وترحم اهلي وامواتي . دخيلك من الاثنين الاسودين » أي بيدهم مطرق حديدين واحد يضرب على الراس والاخر على الرجلين. استغفر الله على ما جنيت . واستغفرك يا الله على مـا سهيت . واستغفرك على زلة جنيت . وارحمني حيّ وميت »

وكانت العرب قديماً اذا لبّت وهلّت تقول : لبّيك اللهم لبّيكَ لبيك لا شريك لك الّا شريك هو لك تملكه وما ملك » ولم يكن لهم صلاة محدودة بل كان كل امرئ يصلي حسب قلبه وعلوّ مداركه

واذا امسك السحاب عنهم مدة من الزمان كان الشيخ يحمل ابنه الطفل ويرفعه الى السماء ويقول : « بحق هذا الغلام اسقنا غيثاً مغيثاً دائماً هاطلا » . فربما اطبق السحاب وجه السماء وأمطر مدراراً . ومما يحكونه ان اهل مكة اصابهم جدب عظيم وامسك السحاب عنهم سنتين فامر ابو طالب ابنه ان يُحضر محمداً وهو رضيع في قماطه . فوضعه بين يديه ورفع ذراعيه نحو العلاء وقال: بحق هذا الغلام اسقنا ماء

وكان الجاهليون يكفنون موتاهم ويصلّون عليهم وكانت صلاتهم اذا مات الرجل وحُمل على سريره ان يقوم وليُّه ويذكر محاسنه ويثني عليه فيدفنه ويقول : « سلام الله عليك . ورحمة الله عليك » . وفي ايامنا الحاضرة يقولون: « فلان مات رحمة الله عليه »

ولقد سمعت حميدياً من عرب الحميدة يصلي بالقرب من سيل الموجب ويقول: « سبحان الله سبحان الله . يا مُسيِّر الجناح (اي الطير) ولا تدري اين راح . يا رب

تسترنا وتستر عوراتنا وترمي الظالمين بالظالمين وتطلعنا من بينهم سالمين » . ورأيت صخرياً واقفاً بالقرب من مهرة له ويصلي ويقول : يا مهرة بخطاها . الحمد لله الذي اعطاها . الله اكبر الله اكبر » . فسألت : ما هذه الصلاة ؟ قال : يحمد المولى على انعاماته . والعرب اهل خيل ونياق فيرددون هذه التسبحة شكراً لله على احسانه

يُروى ان عالماً من ائمة الاسلام حضر الى عرب بني صخر (وهؤلاء اقل العرب تديناً) . واخذ يروي لهم فرائض العبادة والصلاة فقال شيخهم وقد ملّ من عظات الامام : « يا خطيب تراك ابعجت وجه الخير » . اي ايست الله بقولك « الله اكبر » ثم اردف قائلاً : « يا خطيب هو - طيني يوم الحشر والنشر من يكون جالساً على العرش ليحكم في يوم الدين ؟ هل موسى بن عمران يكون حاضراً ؟ قال : نعم . وعيسى بن مريم ؟ قال : نعم . ومحمد رسول الله ؟ قال : نعم . قال : كفى يا خطيب النبي عماماتك وارحل عنا ولا تعد الينا . كلهم اجاويد في محضر الاجاويد تفك الشاكل والكبائر . كلهم اجاويد يشفعون بنا عند المولى العظيم فيكفانا قولاً : الله اكبر الله اكبر » . فخرج الامام من مضاربهم حزيناً على جهلهم وعبادتهم ولذا قلّما تجد الصلاة منتشرة بين اهل البادية

ومن البدوان من يصلي عند ارتفاع الشمس قائلاً : « طلعت الشمس . ارتفع لعرش أعطنا خير اليوم واكفنا شر امس . واكفنا شر من زادت عليه الشمس . من جن ومن انس » . وعند غروبها يقولون : « يا رب الغروب . لا تضيع علينا المطلوب عند مسالك الطيب . جيب لنا فرجك القريب » . وعند صعود الهلال يأخذون في يدهم عوداً يابساً ويكسرونه قائلين : « يا هلال الصعود كل شهر تعود يجملك هلال سرة لا هلال ضرة . دز دو . دز دو . دز دو . دز دو . هل هلالك وعز جلالك سبحانك في مكانك » . وقد يكن ان تكون هذه الصلوات قليلا مما بقي من عبادة النجوم السيارات في البادية . فالتاريخ يطلعنا على ما كان عليه الجاهليون من عبادة الاوثان ولا سيما الكواكب الساطعة . على ان الحارث في بدء عمله يقول : « يا رب ترزقنا ترزق اعدانا . يا رازق الطاحم والباجم يا مرزق الطير في ظلام الليل يارب الغلال وقضاء بال يا ملله انا قطعاك (اي قدمناك) ومتوكلين عليك يا رب تسعدنا وتسعد عيالنا »

ولهم صلاة غريبة تختص بالامطار يتلون فيها آيات رقيقة والحكم ومنه ذلك .

اذا امتدت الايام بوقداتها ويبست الاعشاب ونضبت الآبار وكاد العرب يهلكون من قلة الأمطار ترفع النساء اصواتها ويستغثن السحب الغزيرة والمياه الغزيرة . فتعمد النساء الى خشبتين ويرفعنها على شكل صليب ويلبسنه الثياب النسائية الجميلة والحلى المزركشة ويصطنعن رأساً لذلك الصنم ويطوقن عنقه بالقلائد الثمينة والاقمشة الحريرية . فهذا التمثال يدعى عندهن ام الغيث . وتحمله السيدة العظيمة في عشيرتها ويتبعها جمهور كبير من النساء وهن يرتلن :

« امّ الغيث يا دائمْ بلّي زرعنا النائمْ
بلّي زرع ابو جابر الّي للكرم دائمْ
ام الغيث يا دائم اسقي زرعنا النائم
راحت ام الغيث تجيب الزلازل ما جات غير الزرع طول السنابل
راحت ام الغيث تجيب الرياح ما جات غير الزرع طول الرماح
راحت ام الغيث تجيب الرعود ما جات غير الزرع طول القعود (البعير الصغير)
ام الغيث يا دائم خلّي سيلها يدفع
ام الغيث يا ربي اسقي زرعنا الغربي
ام الغيث يا دائم اسقي زرعنا النائم »

فيزعمون ان تلك الصلاة النسائية ترتفع الى العرش العلوي وتحرك قلب الرب عزّ وجلّ فيعطف على تلك النساء والبنات المرتلات فيرسل مطراً مدراراً يحيي الزروع ويملأ الآبار

ومما ذكرنا ينجلي ان العرب لبثوا على عهد جاهليتهم . فأمّ الغيث هذه هي مريم العذراء ، كما فسّرها لي احد الشيوخ . وقال غيرهم لا بل هي إلاهة قديمة كان يعبدها الجاهليون ولبثت عبادتها الى دهرنا الحاضر . ولم يتسنّ للاسلامية ان تنزع من بينهم بعض العادات والمعتقدات الجاهلية

وقد نجد في البادية طبقة من المتقين الصالحين قد ارتقوا الى ارفع درجة من الكمال البدوي فيهم كما قال احد المتقدمين في وصفهم :

اهل الفضائل غضّوا ابصارهم عمّا حرّم الله عليهم ووقفوا اسماعهم على ذكر الصلاح ولولا الاجل الذي كُتب عليهم لم تستقر ارواحهم في اجسادهم طرفة عين شوقاً الى الثواب وخوفاً من العقاب . فمن علامة احدهم انك ترى له قوة في دين وحزماً في لين يعمل الاعمال الصالحة وهو على وجل يمسي وهمه الشكر ويصبح وهمه الذكر

فهؤلاء هم الفقراء في لغة اهل البادية او اهل الطريقة . وفي كل عشيرة من شرقي الاردن نجد واحداً منهم . واليكم وصفَ واحدة منهم نقتصر بذكرها من سائر الفقراء فهي مثال لجميع الصالحين . قد تعهّدنا بأنظارنا فقيرةً تُدعى سلمى الشراريّة قاطنة في قرية ماعين (بعل معون القديمة) وهي عجوز شرها . كاد الدهر يفنيها وجهُها شاحب عيناها سوداوان تلمعان كالبرق . كان النهار قد قارب المغيب والشمس أذنت بالرحيل وراء جبال اليهودية وكنا في حجرتنا في ماعين واذا بصوتٍ يتقطع في الفضاء عن بعدٍ يقرنُ آلات التضرُّع والشكر فهرعنا نحو الصوت . فكانت سلمى الشرارية جالسةً امام مغارة واسعة الارجاء . تعفّر وجهها بالتراب وكان رأسها مغطًّى بنسيج احمر حريري وقد اتجهت بصدرها نحو الجنوب . وكان بيدها قضيب صغير ترفعهُ على رأسها ثم تخفضه وهي تميل تارةً نحو الشمال وطوراً نحو الجنوب وعيونها شاخصة وفمها يزبد فيسيل لُعابها على صدرها . وعلى رأسها وكتفها اجراسٌ صغيرة اذا تحركت ابدت نغماً مطرباً . فنظرنا اليها نظرةً مرتاعين وهي كالجبل الخاشع تصيح وتقول :

« هَلا (١ هلا هلا بالله . هلا بمحمد رسول الله . هلا هلا يا هلا بقبالة الله . الباقي دايم وجه الله . الستيرة يا وجه الله . هلا بالمجام (٢ هلا بجدّي . هلا بداياني هلا بفاطمة بنت النبي . الرضى بالله . الستيرة بالله »

فرقتنا طويلاً نتأمل بتلك الصورة المُرعبة وكانت سلمى الدرويشة غائصة في بحور الرؤى لا تكاد تشعر بمن حولها من الناس تتمثّل امامها صور بديعة صور لأشباح غير منظورة . فتقدمنا نحو زوجها وسألناهُ عمَّا تشاهد من المناظر الجليلة ممَّا يجعلها تتبسّم تارةً وتضحك اخرى . قال : « انها ترى الدنيا وقد بُسطت امامها . ترى الملائكة جالسين على كراسيَّ من نار ملتهبة . ترى الصالحين والاشرار يمرُّون امامها افراداً وازواجاً » . ولبثنا وقتاً مديداً نتأمل بحركاتها واشاراتها . وبعد هنيهة انهضت رأسها فقلنا لها : ماذا رأيت يا سلمى ؟ فقبّلت الارض ولم تنطق بكلمة ثم

١) هلا كلمة بدوية تدلُّ على التأهيل بمعنى اهلاً وسهلاً

٢) المجام هو جدٌّ من اجداد الاتقياء يرددون اسمه في صلواتهم وزوّام . ويقولون انه ملاك من الملائكة العظام

فتحت عينيها وقالت : « رأيت أناساً عديدين قد مرّوا امامي بلباس احمر ومُطرَّف ابيض » ثم سكتت وعادت الى هياجها وصلاتها . فأخذ زوجها بخوراً ووضعهُ في النار وأدناه من انفها . فتصاعدت رائحةُ العطرة . فلمّا تنسمت شذاه استفاقت كأنها خارجة من نوم عميق . ثم ارتمت على النار والتصق رأسها بها ولبثت دقيقة لا تبدي حراكاً وانفكت تصلي وتقبل الارض فرجعت اليها حواسها . وكان في اثناء صلاتها جمعٌ من الاولاد يضحكون ويهزأون بها وهي لا تلتفت اليهم نظراً . فهذه هي الحالة الرفيعة من الكمال البدوي

وقد ذكر لي من رآها انها تُصبح يابسة كالخشبة ولا يعود اليها الرشد الا بالبخور الدخَن وقد تطفّلتُ يوماً وسألتها : مـاذا ترين يا سلمى ؟ قالت : « رحمه الله يا وليدي (تصغير ولدي) يظهر لي عالم الغيب كطفل بديع ثم تنقلب على الرؤى فاشاهد ملائكة مُرتدة رؤوسهم في السماء وارجلهم في الارض يتشكّون لي بصور مريعة ويضربونني على رأسي ويقولون : توبي واستغفري الله ربك انه توّاب رحيم »

وماذا ترين ايضاً ؟ — « اراهم ملائكة الله باجمل الصور » — وهل يلبسون ثياباً بدوية ؟ قالت : « اراهم لابسين عمامة خضراء يمرّون على ارض خضراء وعلى بساط من العشب الاخضر . يسيرون في طرق خضراء وتحيط بهم الاشجار الخضراء والدنيا كلها تتجلّى امامي باشكال خضراء » — اين هم موجودون ؟ . قالت : « كلهم متعلقون بالله مثل نور الشمس بالشمس تابعون الله » — قلتُ : فما هو العجام الذي تذكرينهُ في صلاتك ؟ قالت : « هو جدّي وهو ملاك من ملائكة الله » . قالتْ . وهو يُظهر لك ما تريدين من الاولياء . ومتى تشائين ؟ قالت : « لا حينما يريد الله والنعم بالله » . ثم اردفتْ : « اني ارى الانقياء الصالحين والاشقياء الظالمين » . وهذه البدوية المسكينة لم ترَ المدن الزاهرة فتجول من مضرب الى مضرب وتطلب الاحسان وكم من مرة سمعت الشاتم ولم تردّ عليها الشتيمة بل تقول : يا ولدي رحمك الله

هذا شيء من مُعتقدات البدوان بالله تعالى . ولنا عدة مباحث من عبادة الارواح والاولياء والاشجار المقدسة والمرتفعات والذبائح سندرجها تباعاً سائلين الله ان يُوفقنا الى ما به مرضاته ونفع الادب وهو اكرم مسؤول

حول جزيرة العرب

نظر اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

عسير والادريسي

قيل سابقاً انّ عسير من اليمن وانّما فصلها الاتراك عن اليمن لغايات سياسية واسم عسير مشتقّ من اسم قبيلة عُرفت بهذا الاسم اصلها من عنز بن وائل ذكرها الهمداني في كتاب صفة جزيرة العرب وموقع عسير شمالي اليمن تفصل اليمن عن الحجاز. وهي على قسمين قسمٌ جبليّ وهو الذي يطلق عليه اسم عسير وقسمٌ ساحلي يدعى تهامة. وجبال عسير مرتفعة تُعرف بالسروات بينها اودية شتّى تسيل فيها المياه الزاخرة وجهة البعض منها الى الغرب والبعض الآخر الى الشرق. وقد اشتهر بينها وادي بيشة بخصبه العجيب وكثرة غلّاته. قيل انّه يغلّ في السنة خمس غلّات متوالية من حبوب وتمر وفواكه. وقسم الاتراك سنجق عسير الى سبع قائمقاميات وهي أبها عاصمة عسير ثم غاص شمالي ابها ثم غامد ثم قنفذة التي هي مرفأ على البحر الاحمر ثم محايل ثم رجال المع ثم صبيا. واهل جبال عسير معروفون بقوتهم وبسالتهم في مواقع الوغى. واصلهم يرتقي الى قحطان وقسمٌ منهم عدنانيّون. تبلغ قبائلهم ثلاثة ملايين نفساً

ذكرنا ان اسم اقليم عسير ورد لاوّل دفعة في تاريخ الوهابيين وان شيخه ابا نقطة تمذهب بمذهب الوهابيين واستولى بمساعدتهم على قسم كبير من اليمن فحكم على تلك الاصقاع الى ان قام حمود ابو المسمار محاربةً وغلبه ثمّ قتله سنة ١٨١٤

ولمّا قدم المصريّون بعد ذلك الى جزيرة العرب سيّر ابرهيم باشا سنة ١٨٢٤ فرقة من جنوده ليُخضعوا بلاد عسير لدولته. لكنّ هذه الحملة لم تفز بالغاية المطلوبة. ورجعت منها بالخيبة حملةٌ ثانية أُرسلت في اثرها. ثم عاد المصريون في السنة ١٨٣٠ وما يليها وحشدوا النية لتذليل عسير لكنّ مساعيهم ذهبت ادراج الرياح ولم يروا بُدًّا من الانسحاب منها بعد ان فتكت المجاعة والاوبئة بقسم كبير من جنودهم وبقي شيخ عسير عائض بن موسى مالكاً على بلاده دون منازع

ثمّ مات الشيخ عائض فخلفهُ ابنهُ محمّد فهمّ بتوسيع املاكهِ. ثمّ سار في اواخر سنة ١٨٧٠ الى تهامة وطرد من مدن السواحل عمّال الاتراك وجنودهم وضمّها الى عسير واعلن سيادته عليها . لكن الدولة العثمانية لم تُغضِ على الضيم فارسلت سنة ١٨٧١ عدّة طوابير من عساكرها تحت امرة رديف باشا فاستردّت المدن الساحلية والجأت شيخ عسير الى الفرار نحو حدوده الجبليّة . وبقي هناك خاملاً حتى وفاته . ثم سكتت الصحف عن اخبار عسير زمناً حتَّى قام السيّد الادريسي المعروف بالمهدي اليمني

اسم الادريسي محمّد بن علي ابن السيّد احمد بن ادريس قيل انّ اصلهُ من بربرة من جهات الصومال وقيل بل هو من الجزائر . ويحكى عن جدّهِ احمد ادريس انهُ وُلد ببلدة من اعمال مراكش ثمّ عاش في شمالي افريقية وفي اواخر عمره حجَّ الى مكّة واقام بها عدَّة سنين يعلّم فيها العلوم الدينيَّة والتصوُّف . فدخل كثير من اهلها في طريقتهِ من جملتهم السيد محمّد السنوسي . ثمّ رحل الى اليمن وانقطع هناك الى اعمال الزهد ومات في صَبيا حيث يُزار قبرهُ ويرقُون اصلهُ الى السلالة النبويّة

وقد قضى حفيده المعروف اليوم بالسيّد الادريسي قسماً من حياتهِ في مراكش وهو ضعيف الحال يرتزق بالتجارة . فلمَّا اكتهل خرج من بلدهِ ليزور مشهد جدّهِ في اليمن فدخل صَبيا وأقام هناك علانية على اعمال التقى تجلب اليهِ نظار الاهلين ثمّ قصد مصر فتلقّى فيها العلوم في الازهر . واجتمع هناك ببعض اعداء الدولة التركيّة فدفعوهُ الى الاستيلاء على اليمن ولا سيَّما عسير وتهامة ليخلّصهما من نير بني عثمان . فأُشرب عقلهُ من هذه الافكار وعاد الى صَبيا وجعل يبثّ الفتنة في اليمن ويتحيَّن الفرص المناسبة لتنفيذ اغراضهِ . فلمَّا انقلبت الحكومة الحميدية وأُعلن بالدستور دعا اليهِ عرب اليمن فتجمّعوا حولهُ زرافات ووحداناً فأدّى بهِ اجتماعهم الى ان يدعوهم الى الاستقلال وتحرير بلادهم من نير الاتراك فوجد لصوتهِ صدى بين الاهلين ولمَّا اكتمل عددهم اعلن بمهمّتهِ مبدئياً ومشى في مقدّمتهم وهجم على الاتراك الضابطين لليمن لأرق شملهم

وقد رافقت دعوةَ السيّد الادريسي في عسير وتهامة حركةُ الامام يحيى في صنعاء دون ان يتّفقا لانّ الامام يحيى من الشيعة الزيديَّة والادريسي من اهل السنّة . لكنّهما

بعد حين عرفا انَّ في جمع كلمتهما خيراً وغايتهما واحدة تحرير وطنهما فتناصرا على محاربة الاتراك سنة ١٩٠٦ . فخاف السلطان من اتساع الخرق وارسل قوات لاخماد الثورة . وجاء في مذكرة نشرتها وقتئذ الحكومة التركية ان زعماء اليمنيين قطعوا المواصلات بين صنعاء والروابط العسكرية في الجبال . وتحققت الدولة انَّ غاية الادريسي والامام يحيى واحدة وهي الاستئثار بالسلطة في اليمن وعسير . على انَّ الحكومة ظلت تأمل حلَّ الاشكال بالتؤدة حقناً للدماء . فارسلت متصرفاً وقومنداناً لعسير سعيد باشا ومعهُ جيش تحت قيادته . فلما وصل الى جيزان وهي مرفأ صبيا ارسل الى الادريسي وفداً يرأسهُ الشيخ توفيق الارناوودي ليقف على نواياه . وكان الادريسي لم يحشد بعد ما يعوَّل عليه من الجنود فلما قابلهُ الوفد انكر كونهُ عاصياً على الدولة واظهر الاخلاص لخدمة السلطان محمد رشاد وأكَّد انهُ لا يريد الاصلاح القبائل خلافاً للامام يحيى . وكرَّر اقوالهُ لسعيد باشا لما حضر الى صبيا وطلب منهُ ان ترفع الدولة الضرائب القديمة عن الاهلين وتقنع بالزكاة الشرعية من المحصولات الزراعية والمواشي وان تكلفهُ بجمع الزكاة على شرط ان يأخذ هو ثلثها

فرضي سعيد باشا بذلك وسمح للادريسي بتأليف جيش من الوطنيين لتنفيذ اوامر الدولة كما زعم وكتب لهُ عقد اتفاق في ما طلبهُ وارسل الى قبائل تهامة وعسير كتباً يأمرها بالخضوع لاوامر الادريسي ليتمكَّن من الاصلاح فيهم فرضوا رسومهُ . ثمَّ سافر سعيد باشا الى اليمن لمحاربة الامام يحيى الذي كان مصراً على ثورته وانضمَّ الى الجيش المحارب هناك ليخمد الفتنة في تلك الجهات ويعيد السلام لاهلها

فلما ابتعدت جيوش الدولة من عسير صفا الجوُّ للادريسي وجعل ينفخ نار الثورة في تركية بين القبائل فقويت شوكتهُ وامتدت سلطتهُ وارسل سراً الى الايطاليين كي يمدوهُ في سواحل اليمن باسطولهم فاجابوا الى دعوته . فما مرَّ عليه بضعة شهور من سنة ١٩١٠ حتى استفحل الشرُّ وصارت قبائل عسير طوع امره

ولما آنس من نفسه القوة جاهر بمحاربة الاتراك وارسل الامراء من قبله الى جهات تهامة وعسير بعد طرد عمالها من قبل الدولة . وفي السنة ١٩١٠ سار بجنوده الى روابط الجنود الشمالية فشتت شملهم فلم يبق منهم سوى الرابطين في ابها ومعهم

المتصرف سليمان باشا فحاصروهم وشددوا عليهم الحصار وقطعوا عنهم المؤن حتى اكلوا الهرر والكلاب ومات اكثر العسكر جوعاً

حملة عزت باشا وامير مكة على عسير — الادريسي هارباً

واستمر الحصار عشرة اشهر الى ان عهدت الدولة الى عزت باشا والى امير مكة (سلطانها الحالي) حسين باشا بانقاذ المحاصرين وقطع دابر الادريسي فتوجهت جموعهم المركبة من العساكر النظامية ومن الاشراف والعرب وكان مع امير مكة نجلاه الاميران عبدالله وفيصل فتوغلوا في جهات تهامة وعسير في ربيع سنة ١٩١١ وزحفوا ظافرين الى أبها وأفرجوا عن عساكر الدولة. اما الادريسي ففر من وجههم الى داخل البلاد

وقد قرأنا خطبة دولة الامير حسين يوم دخوله الى ابها وفي نصها الشائق عبرة للمعتبرين وهو الذي شق بعد ذلك عصا الاتراك فها نحن نوردها بحرفها الواحد كما رواها احد اشراف مكة عبد المحسن البركاتي في تاريخ هذه الحملة ليرى القراء تقلب الناس في سياستهم واستنادهم الى الدين حسب غاياتهم (اطلب كتابه الرحلة اليمنية ص١٤٣) :

أيها الاخوان اعلموا علم اليقين انه لولا هذه الدولة العثمانية وشدة اعتناء خليفتها بالامة الاسلامية خصوصاً مولانا امير المؤمنين الحالي لاختطفتكم الدول الاجنبية اختطاف الذئاب الغنم المنفردة (كذا!) فان جميع الدول ساعية من زمن بعيد في استحلال الشريعة المحمدية بواسطة هؤلاء المفسدين الذين يخدمونها لاغراضهم الشخصية (كذا!!). اخواني هل يرضيكم افعال هؤلاء القوم الساعين في تخريب بلادكم باسم الحق ولا أدري كيف انخدعتم لهؤلاء ولاسيما وانتم أولو العقول الراجحة والنخوة العربية الاصلية. آباؤكم الاولون كانوا عز العرب ومنهم ورثتم الهمم العالية. ألستم ابناء التابعين؟ ألستم الذين (كذا) قال فيكم جدي رسول الله صلعم: العلم يمان والحكمة يمانية؟ ألستم انتم ابناء اسلافكم الكرام الذين اشتهروا بالذكاء (كذا) الفطري والجد المؤثل فالله الله يا أبناء الامة العربية في دينكم لا تضيعوه على استقرار وانتظروا بظل الراية العثمانية التي هي شعار الاسلام (كذا!) ولا تغتروا بأقوال المفسدين الساعين في تنفيذ اغراض المحركين لهم اعداء الدين الاسلامي وانتم اطيب عنصر وعدم معرفتكم بالسياسة الاجنبية تظنون انهم انما يخدمون الدين مع انهم والله عن الدين بمعزل لا يخدمون الا اغراضهم الشخصية متسترين باسم الدين فاحذركم ان لا تغتروا بمثل

هؤلاء الاوغاد المارقين من الدين بل كونوا حجيجاً لامير المؤمنين واعلموا انّ من خالفهُ خالف الله ورسولهُ ومن خالفهما فقد باء بغضبٍ من الله وخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين !!

ثمَّ رجع امير مكّة الى الحجاز لمّا عزّت باشا فسار الى محاربة الامام يحيى فنال بعض الفوز من العصاة ودخل صنعاء. واستدعى اليهِ شيوخ اليمن وعسير وبيّن لهم ما ينتج عن مقاومتهم للدولة من الآفات لهم ولبلادهم بدلاً من ان يعضدوها في محاربتها للدول الطامعة الاجنبيَّة. فأخذ كلامهُ مأخذهم وهدأت الامور بعد ذلك برهة واخلد اليمنيُّون الى السكينة. وكذلك الادريسي بقي في عزلتهِ ينتظر فرصة اخرى لمعاودة حرب العثمانيين

ولمّا انتشبت الحرب العموميَّة الاخيرة تقرَّبت الدول الائتلافيَّة الى اليمنيين واكّدوا لاخوانهم انهم لا يمسُّون استقلالهم ان لزموا الحياد وامتنعوا عن كلّ فعل عدائي مع المؤتلفين. والمرجَّح انهم الآن في راحة وسلام مع قلّة ما يبلغنا من اخبار تلك الاقطار القاصية

وجاء في خطاب الوزير بلفور في دار الندوة الانكليزيَّة في اوائل السنة ١٩١٧ انَّ السيد ادريس انتهز فرصة الاحوال الحاضرة فرفع راية العصيان على الاتراك على خلاف الامام يحيى الذي بقي على ولائهِ لهم وسار بجنودهِ الى قنفذة على سيف خليج العرب فاستولى عليها

تجديد فنّ الجراحة على يد الدكتور كارِل

لحضرة الاب رفائيل نخله اليسوعي

من ابعد الجرَّاحين بل العلماء شهرةً الدكتور الكسيس كارِل (Carrel) الذي حاز من سبع سنوات جائزة نوبل (Nobel) البالغة ٢٠٠,٠٠٠ فرنك لاكتشافاتهِ واختباراتهِ التي اعتزّ بها العالم اندهاشاً وفرحاً فانها والحق يقال فاتحة عصر جديد لفنّ الجراحة رغماً عن الآيات التي نراها بأمّها الرباية في الجيل المتصرم. ولكن قبل سرد اختبارات هذا النطاسي يجدر بنا ان نقدّمهُ للقرّاء بأقوال وجيزة

من هو الدكتور كارل

الدكتور الكسيس كارل احد علماء فرنسة درس الطب في كلية ليون حيث استلفت سريعاً انظار رفاقه بتوقد ذهنه وطول فكرته وشدة انكبابه على المطالعة وبعد انجاز دروسه قصد الشهير بفنه فتلمذ للاستاذ بونسه (Poncet) الذائع الصيت فكان يعود المرضى معه ويساعده في اجراء عملياته . ومن غريب ما اتفق له في تلك الآونة ان بعض الجهابذة الاجانب وفدوا الى ليون لملاقاة الاستاذ بونسه وهو غائب . فاستقبلهم تلميذه ورحب بهم وقادهم في كل انحاء المستشفى بدون ان ينبس بلفظة تشير الى كونه غير الاستاذ المتغيب وعلى وجهه مسحة من الوقار يزيده كلامه الرصين تأثيراً على الزائرين الكرام . فأيقنوا انه هو الاستاذ وأعجبوا من سعة معارفه وطول باعه . وبعد ان جال بهم ساعة كاملة يريهم فيها بحذقه وطبه ذهب بهم الى الدرج فتغلب فيه طيش الشباب على رصانة العالم فامتطى كارل الدرابزون كما اعتاد الصبيان وانحدر عليه كالسهم الى الطابق الاسفل . فليتصور القارئ دهشة الزوار الاجلاء وخيبة ظنهم لما رأوه من خفة طبع الاستاذ الموهوم ونزقه !

وبعد ان حاز كارل الدكتورية حدثته نفسه ان يحاول السباق مع اقرانه لينال منصب جراح بمستشفيات ليون . ولا يخفى ما لهذه الوظيفة من الاهمية في أعين طلبة الطب وكم يتوقون للحصول عليها . فآثرت لجنة الفاحصين على كارل بعض زملائه وهم دونه بمراحل فاغتاظ مما اعتبره ظلماً فاحشاً . ولما كان شديد الغيرة على صيته الطائر في انحاء فرنسة منذ تلك الأيام البعيدة اعني حول السنة ١٩٠٠ عزم على صيانته من كل شائبة بترك وطنه والسفر الى الولايات المتحدة حيث طلب ونال الجنسية الاميركية فسعى هناك جهده للحصول على منصب ملائم لذوقه وسمو غايته فعين استاذاً بمعهد روكفلر (Rockfeller) في نيويرك حيث باشر وواصل الاختبارات والدروس التي أفضت به منذ ١٩٠٧ الى اكتشافات قضى منها العجب علماء الخافقين وقد آن الاوان لعرضها على القراء بغاية الايجاز

قد اسلفنا القول بأن كارل جدير بان يدعى مجدد الجراحة فبياناً لذلك ها نحن نذكر الشأو الذي ادركته قبله ثم نروي الى أية درجة اسمى ابلغها العالم

القرني ؟ نعمْ ما توصّل اليه ذلك الفنُّ قبل كارل ان يوقف نزيف الدم بسدّ الشرايين والعروق ثم استئصال بعض اعضاء الجسم المصابة بداء عقام اي الاعضاء غير الجوهرية التي لا قيام للحياة بدونها . ولكن هيهات ان تخيط الجراحة في مكان العضو المقطوع عضواً آخر سليماً ينوب منابهُ . فكان الوف المرضى حتى الآونة الاخيرة يخرجون من قاعات العمليات احياء بيد ان حياتهم في اغلب الاحيان ناقصة لنقصان احد اعضائها . وما الآن موقف النطاسي كارل بازاء تلك الجراحة التي مرّ بها اجيالٌ ودنيا البؤ والسلب ؟ قصدَ على حداثة سنهِ ما لم يقدمْ على خلدِ اعظم الجراحين . قصد استنباط جراحة غير هادمة بل بانية غير خاطفة بل حابية غير مُنقصة الحياة بل منميتها . وان لم تتحقَّق الى الآن كلُّ امانيهِ الكبيرة فقد دخل منها الى حيّز الوجود ما ينبئنا بدنوّ تحقيق ما تخلّف منها . وما الذي انجزه العالم القرني في سبيل تجديد الجراحة ؟ اسمع واحكم

١ عمليات الدكتور كارل على الحيوانات

كلها عائدة كما ألمحنا الى التلقيح اعني قطع بعض الاعضاء وإبدالها بما يوازيها . وهاك بالتفصيل اهمّ انواع تلك العمليات التي تجرى منذ سنين بجهد روكفلر بعد ان سنّ قوانينها الدكتور كارل

١ ﴿ تلقيح قِطَع العروق والشرايين ﴾ يضغط الجرّاح بمقطين على طرَفي العرق الذي يُراد بترهُ ثم يقطع ويُخاط مكانه قطعةُ عرق منزوعة من حيوان مجانس للاول او قطعة شريان منه ولا تدوم كل هذه العملية اكثر من بضع دقائق فلا يلبث ان ينتظم جرَيان الدم في العرق او الشريان الملقّح وربما اشتدت صدمة الدماء على محل الخياطة فانها لا تقوى على فتقها . ومن العجب ان القطع الملقحة بدلاً مما قطعه المِشرط تكون في بعض الاحيان قد حُفظت ستة اشهر ونيف في آنية مثلّجة . وبعد اسبوع من اجراء تلك العمليات الغريبة ترى الحيوان يطفر مرَحاً كأنهُ لم يُصب بمشرط المِبضع . واذا شُقّ جسمهُ بعد انقضاء عام او عامين ظهر العرق او الشريان الملقّح بدون ادنى اثر التلقيح فيظنّ انهُ في ذلك المكان وعلى ذلك الشكل من نشأته

٢ ﴿ قطع الاعضاء واعادتها هي نفسها ﴾ من امثلة هذه العمليات التي لم تكن في الحسبان ان الدكتور كارل قطع كلوتي كلبة ثم اعادهما فعادتا الى حالتهما السابقة ولم تتأذ الكلبة قطعاً مما عانته بهذه العملية القاسية فانها ولدت بعد ذلك احد عشر جرواً ومن المعلوم ان هذا شاهد جليّ على جودة الصحة

وليس مثل تلك العملية من النوادر في معهد روكفلر فكثيراً ما ترى فيه حيوانات قطعت منها الأذنان او المعدة او الذنب او الطحال الى غير ذلك من الاعضاء ثم أعيدت كما كانت قبلاً . وربّما صادفت في ممشى المعهد كلباً اسود يثب برجل صفراء ثم تلاقي بعد هنيهة رفيقه الاصفر وله رجل سوداء فتنتبه كيف تمّ هذا الامر العجيب الذي يحدو بنا الى ذكر نوع جديد من العمليات

٣ ﴿ قطع الاعضاء واستبدالها باعضاء حيوان آخر ﴾ ولا يقع التبادل — كما يتضح بديهياً — الا بين الحيوانات التي من جنس واحد غير انه يجري بغاية السهولة والكمال كما لو أعيد العضو المقطوع نفسه . فتبدل على هذا النمط اغلب الاعضاء كالرجل والاذنين والانف والمعدة والكلوتين والطحال والغدد والذنب

٤ ﴿ حفظ الاعضاء المبتورة من الجسم حيّةً في الثلاج ﴾ . هذه ولا شك آية الآيات في اعين ائمة الجراحين التي لم يحلموا بها سابقاً . فما اشدّ جرأة الدكتور كارل بل ما اعظم مقدرته ودهاءه حيث انجزها لاول مرّة . وليس في طريقته شيء من السحر بل هي غاية في البساطة . تُغسل الاعضاء المبتورة في مائع قاتل لانواع الميكروبات ثم تُبلّل بقليل من الماء لتبقى رطبة واخيراً تُدخل في انابيب زجاج مغمّة تُسدّ على النار وتوضع في الثلاج بحرارة الثلج الذائب . فتبقى على هذه الحالة ليس اياماً فقط بل اشهراً دون ان تلوح فيها علامات الحياة والنمو الى ان يُراد استخدامها لدى الحاجة للتلقيح . فتُلقى في القازوزين الحارّ لإنعاشها ثم تخاط مكان العضو المبتور . فترى القلب الذي عاش اسابيع في الثلج بدون خفقةٍ واحدة . ترى ذلك القلب القرص الصُلب الذي غشاه شحوب الموت ينتعش بعد ان خيط بالعروق والشرايين ثم يحترّ بسيل الدم ثم ينقبض وينبسط في خفقات متراصة منتظمة كأنهُ لم يباين موضعهُ الحالي بتاتاً . فيخيّل لك انك ترى ميتاً نُشر من قبره وعاود كل الاعمال الحيويّة بعد انقطاعه عنها زمناً طويلاً !

١ ﴿ حفظ الاعضاء المقطوعة من الجسم حيّة مع ظهور علامات الحياة بل نامية ﴾

قد توصّل الدكتور كارل الى انجاز هذه المعجزة التي شاهدها آلاف من الطلبة العلماء الجهابذة . والفرق بينها والعملية السابقة كما بين الثريّا والثرى . فهناك ا. محصونة من الفساد في الثالج ولكنّ حياتها خافية عن الانظار بل تكاد تخفى عين العقل نفسه لعدم وجود علامة حيويّة ولو طفيفة . اما هنا فالحياة متجلية في و المقطوع اتمّ انجلاء . فلا تختلف عمّا كانت عليه قبل انفصال العضو من جسد ان . ومن اغرب ما فعله النطاسي الفرنسي من هذا القبيل انه قطع قلب فرّوج سة في مائع يحتوي على كمية من الدم المجرّد عن كريّاته . فتغذى القلب بها حركة ـرًا محسوسًا بل خفق بدون انقطاع اشهرًا عديدة . واذا خمدت حركة الحيوية هذه المدة الطويلة فداعي ذلك نقصان المواد الغذائيّة واختلاطها بما يفرزه العضو ر من المواد الضرّة فيكفي لانعاشه القاؤه في مائع جديد مصفّى

وفي احدى اختباراته جعل الدكتور كارل قلبين مقطوعين الواحد على مسافة ة من الآخر وكلاهما في المائع الواقي للحياة . فبقي الاول يخفق ٩٢ مرّة في ة والثاني ١٢٠ مرّة . وبلغ بهما الامر بعد ثماني ساعات ليس الا الى كونهما اشدّ التحام فتحولا الى كتلة واحدة ذات خفقات مفردة . وامثال وقاية الحياة على الطريقة لا تحصى فقد توفّق الجرّاح العالم الى حفظ الحياة في اللحم والاعصاب قطع من الكبد والكلية والرئة وفي تربية العين بعد ان قُطعت من الجسم منها ينمو كانه بذر طرح في ارض خصبة . وهذه جميعها من المبتكرات البديعة يسبق لشهير الجراحين اليها الدكتور كارل

ولكننا لم نخرج بعد من دائرة الحيوانات التي هي موضوع العمليات الغريبة التي ها في الاسطر السابقة . وجلّ اهتمامنا معرفة الفائدة التي جناها النوع البشري ك الاكتشافات البالغ صداها الى اقاصي المعمور

٢ عمليات الدكتور كارل على الانسان

ن المعلوم ان الجراحين مارسوا عملية التلقيح على الانسان قبل الدكتور كارل م لم يتقدموا على اجزائها الا نادرا . فمن ذلك انهم اذا سُلخ جلد العنق على

إثر حرق يتزعون قطعةً من جلد الذراع مثلاً ويلقحونها على الحرق فتثبت وتنمو عليه . ومن ذلك ايضاً انهم استطاعوا غير مرة ان يعوّضوا من انفٍ مقطوع بانفٍ صناعي كوّنوه بفلذة كثيفة من اللحم مأخوذة من الجبين او الساعد . وقد اشتهر بهذا الفن او في خلال الحرب الجراحون مورستان (Morestin) ودلبا (Delbet) وتوفيه (Tuffier) لكنّ مهارتهم ومهارة امثالهم وقفت عند ذلك الحدّ

اما الدكتور كارل فقد بلغت به الجسارة بعد نجاحه الباهر في عمليات التلقيح على الحيوانات الى ان جاوز الحد الذي وقفت دونه عزائم امهر اقرانه . وهاك بالتفصيل آية من آياته . احترقت عينا احد الاميركيين فسدت اغشاء البصر الجوهرية ومع ذلك أصيب الشقي بالعمى حيث فقدت القرنيتان شفافتهما . فأُتي به الى مستشفى فيلادلفية وفحصه الدكتور كارل فصمم النية على ان يلقح على كل من العينين المكفوفتين قرنية سليمة وذلك حالما يتوفق الى الحصول عليها . فقيّضت له العناية الالهية بعد اربعة اشهر ان يقلع عيناً أموتت فنزع قرنيتها ولقحها على احدى عيني الضرير كما يبدل الساعاتي زجاج الساعة المكسورة وثمانية ايام بعد ذلك رُفع الضماد فابتهج النطاسي حيث رأى امنيته تحققت على غاية ما يروم فان الاعمى الذي كان حُرم منذ سبع سنين لذة النور صار ينظر بالعين الملقحة

ولما درى جراحو الخافقين بنجاح تلك العملية الجريئة وكثير من امثالها سلكوا مقتدين على الطريق الجديدة التي مهدها لهم الدكتور كارل فانتشرت عمليات التلقيح العضوي في كل الاقطار . ولنكتفِ بوصف التلقيح الذي اجراه الدكتور دلبا (Delbet) على شخص قاسى عشر سنين امرّ العذاب من كسر عظم الفخذ في اعلاه . قطع الجراح كسرة من قصبة الساق الصغرى وادخلها في ثقبين ثقبهما على جانبي الكسر كما يصنع النجار اذا اراد ترميم قائمة مكسورة لطاولة . فبرحت كسرة القصبة الدخيلة ولأمت جانبي العظم المصدوع اشد لأم . أتى الكسيح بعد خمسين يوماً مستنداً على عكازة ثم اكتفى بعصاً بعد سنة تقريباً واخيراً مشى بدون سند

ومن البديهي انه لو تيسر للجراحين ان يجروا هذه العمليات على بني آدم بمثل جسارتهم في مباشرتها على الحيوانات لطال جدول فتوحات فن الجراحة الجديد ولكن الذمة لا تسمح بتعريض الانسان الى خطر شديد ان لم تكن هناك ضرورة

مناسبة . وعلى كل حال فان عمليات التلقيح العضوي لم تزل في السبع السنين الاخيرة تنمو عدداً فيسوغ لنا ان نتفاءل بها خير فأل لمستقبل الجراحة الكاربلية . وكما ان العالم باستور جدد الطب في اواخر الجيل المنصرم باكتشافاته المشهورة في عالم الميكروبات الذي فتحه للعلماء والاطباء . كذلك كارل فتح للجراحين عالم التلقيح الذي لم يطرق بابه احد من قبله . فاستحق ان يحصى مثل باستور في عدد اعظم المكتشفين والمحسنين الى كل النوع البشري ونالت بكليهما فرنسة وطنهما مجداً مؤثلاً يضاف الى ما احرزته من الفخر بسبق ابنائها الى كل عمل شريف وعلم نافع

رجل الخير المرحوم صالح نعمة

لحضرة الخوري مبارك الرشداوي خادم قرية بانر والمنصورية

أصله ونسبه

في غرة شباط الاخير رُزئ الدين والوطن معاً بوفاة المرحوم المبرور الكافاليار صالح نعمة اللبناني الماروني مزوداً مراراً بالاسرار المقدسة . اصل هذه العائلة من شمش قطنت روسية النعمان ووالده يدعى نعمة كان فاضلاً ورعاً كريم الاخلاق يكنّه حكومة لبنان باول تشكيلها شيخاً على قريته بموجب بيورلوردي . وكان واطنوه يدعونه نعمة السعيد لكونه اول من تملّك في القرية . فكان فسيح الصدر رحب الدار طالما ردّد مواطنوه آيات أفضاله عليهم مدة حركات سنة ١٨٦٠ والدته نهول كانت ممتازة بفضائلها وتقواها الباهرة وقد لقّبها مواطنوها بالقديسة نظراً لبراءتها وسماوية روحها . فمن هذين الوالدين الفاضلين ولد صاحب الترجمة المرحوم صالح نعمة

حياته التجارية

ما بلغ سن ١٠ حتى توفي والده تاركاً له عقارات بقيمة الف ليرة وديوناً عليه وثلاثين الف غرش فشمّر صالح عن ساعد الجد ومال الى تجارة الشرانق والحرير درسها متدرجاً من وكيل سماسرة الى ان صار يُعدّ يضاف اصحاب المعامل الحريرية

الكبرى في جبل لبنان من حيث اتقان الصناعة بكامل فروعها والاسم المطار . واذ ضم اولاده معه سنة ١٨٩٠ بالعمل تحت عنوان «صالح نعمه واولاده» فقدت مخافرة بنيه له تاجاً متيناً لعمله لانهم لا يقلون عنه مقدرة وحنكة وثباتاً . وقد برهنوا فيا مرّ من السنين السوداء على تجارة هذا الصنف على ما تقدم بتخلصهم من خسائرها الفادحة . فكان حريره ممتازاً يزاحم اجود الماركات . وطالما تكرر سفره وسفرهم الى مدينة ليون اكتساباً لتحسين هذه الصناعة وتمكين علاقاتهم التجارية والودية مع عملائهم وقد كان يؤدي هؤلاء العملاء بحقهم احسن شهادة . وقد رددها بعض ذوات بيروت العائدين من ليون فروى انه سمع احدهم يقول انه يحترم محل صالح نعمة واولاده احترامه لاحسن بنوكة بيروت من حيث الاستقامة والمعرفة والامانة

ثمّ بنى له معملاً للحرير فخماً في قريته مفرزاً متقن الصنع والهندسة تحرك آلاته بقوة ضغط الماء واضاف اليه بعدة جملة سنوات بصورة الاجارة نحو اربعة معامل كان يشغلها ويستفيد منها الارباح الطائلة . فتوسّع بشراء الاملاك حتى اصبح يُعدّ من كبار الملاكين في الجبل . واذ رأى ان معمل حرير معاصر بيت الدين يلائم الموافقة لصنعته نظراً لمركزه وحسن موقعه لسواقي الشرائق فاشتراه مع عقاراته وكان له منه كما افتكر حسن الاستنتاج وقد زاد على حسنه تحسيناً حسب مقتضيات هذا الفن من الاتقان

حياته السياسية ووطنيته

قد كان رحمه الله من معاصري رستم باشا متصرف الجبل في صباه فلوثوق ذلك الحاكم باخلاص المرحوم ومقدرته كان يعهد اليه باصلاحات في ناحيته . فكان المرحوم يقوم بها احسن قيام . ومثل ذلك كان نعوم باشا يكل اليه بواسطة صديقه الامير الكبير مصطفى ارسلان برّد الله ثراه قضاء بعض المهامّ بين حكومة الجبل وولاية الشام فكانت اعماله مكللة بالنجاح . اما جرأته الادبية فهي مشهورة فقد كانت تدفعه الى ان يناهض كل خلل يوجه اولياء الامور فلم يمل قط الى وظيفة في الحكومة انما كان يخدمها الخدمات الجلى وهو في اعماله ومعامله . وله بهذا الموضوع مآثر وشهامة وطرائف مشرفة كانت تتجلى فيها روحه الكبيرة وتضحياته العظيمة وتفانيه بحق

اصحابه (١ فكان الوطني الصادق المخلص لربه ولبلاده المعظم القول والرأي وكان متصرفو الجبل وقناصل دولة فرنسة العظيمة يجلّون مبادئه ووطنيته واخلاصه ويكررون زياراتهم له

اخلاقه ومعارفه مبادئه ونزيه اولاده

قد كان رحمه الله ذا ضمير سليم وقلب منشرح واخلاص وشجاعة كثير الاستقامة شهماً وفياً محبوباً ذكياً لم يتلقن من العلوم سوى بسيطها تحت سنديانة القرية على كاهنها والا ذكاؤه الفريزي كان له المعلم الأعظم لو جالسته او قرأت محرراته تحكم عليه انه من متخرجي المدارس العالية. كان ذا مبدأ قويم يتطيّر من الحنوث في الوعود وذا نفس أبيّة تشمئز من كل ما يمين الحق والناموس وذا مروءة وحمية نادرتين ينتصر للمظلوم بشدة لغاية رفع الظلم عنه كائناً ذلك الظالم عليه فليس يهاب ولا وجل · كان من انصار السلامة ومحبيها يقضي بين المتخاصمين وبمخاصة القناعه وتجرده كان مكلول النجاح · وكان اصحابه البعيدون لدى حصول ملمّات عندهم يستنجدون به فكان يلبّي بارتياح دعوتهم ويصرف قضاياهم بما كانت مهمّة · ودورٌ عديدة في هذا الجبل تردد مدى الدهر افضال هذا الشهم بارتياح الطمأنينة والسكينة لداخليتهم بمفعولات عنايته ومروءته · ومن مبرّاته انه قرّر استدعاء طبيب وهو الدكتور الشهير مرشد افندي خاطر الى قريته معوليا على نفقته ليجري فيها معاينة طبيّة كل خميس لمساعدة كل من لم تمكنهم احوالهم من دفع اجور الاطباء سواء كانوا من معوليا او من القرى المجاورة · فتمّ ذلك سنة ١٩١٣ · هذا ومآثر عديدة يطول ذكرها وتعرب عن

---

١) لم يمكن تعداد نفائس خدماته لانه معتصبا لمجد وتقدم النصرانية التي كان مرة بعد اخرى يتوسده حقوق رعاياها بعض ذوي الغايات ولا نذكر كذا تفصيلات لأنها تمس كرامة جيراننا غير النصارى فاكتفينا بهذا الالماع · وهذه واحدة من مئات : دعي كهنة الجوار لمأتم رجل في عبدليا مسيحي فتقدم الدروز امام الصليب فحصل لذلك عراك بينهم وبين الكهنة ادى الى المضاربة فسطر الكهنة عريضة باسم المرحوم يشكون فيها الحالة وقدموها له عقيب الحادثة فانفذها مع احد اولاده الى يوسف باشا فرانكو متكلاً عليها فما اصبح الصباح الا « والعرفان » يدوي في عبدليا وتجاول بك الطرابلسي محدقاً البلدة بجنوده حيث اعتقل نحو ١٧ شيخاً درزياً وصحبهم لبيت الدين حيث زجوا في السجن ولم يبارح عدهم الا بعد مضي ٣ اشهر بجاسوسية عهد الجاوس . . وهذه هي الضجرة . . . وأين هذه من سواها :

مفاعيل تلك المروءة النادرة . فقد كانت يد الرب تسبق يديه في قضاء كل مشكل عضال وعلى تلك المبادئ السامية ربّى هذه الثلاثة فكانوا على صورته طبق الاصل

حبوه الديني

كان يختلج في صدره نفس سامية كلها شعاع ينبعث منها روح الدين والوثوق بالله فاذا زرت محلاته في منوليا او في معاصر بيت الدين تلقى ماصوقاً على زجاج داره ومعامله صفيحة قلب يسوع الاقدس . واذا تصفحت دفاتره تقرأ باول كل منها هذه الفقرة « ما توفيقي الا بالله الحي » واذا تصفحت وصولات السوق المطبوعة تستقبلها كلمة «يسوع ومريم ومار يوسف» بالافرنسية واذا دخلت عمق قلبه هناك الغبطة . حمل والدته الفاضلة رغماً عن شيخوختها الى زيارة الاماكن المقدسة ومنذ نشأته وضع بيته واعماله تحت حماية مريم العذراء . وقد كان شديد الحرص على تهذيب بيته على هذا الاساس المكين فحصل على الحظوة الفائقة باعين بطريركية الروم الكاثوليك وعهد اليه رئيس مدرسة عين تراز الاب جيروم ابان سفره الى الاستانة بادارة شؤون واملاك المدرسة فاجاد احسن الاجادة وقدم الرئيس له بعد عوده تقدمة مالية فرفضها شاكراً فاقام في قريته جبانة وساعد بتجديد بناء معبدها وشيد في منوليا معبداً نفيساً لمريم العذراء وزين جداره الداخلي بمحفورات الخشب والانجيل مما هو فريد في بابه واستحضر من ايطاليا تمثالاً لهذه البتول الطاهرة بطول مترين من رخام آية في الابداع . فقد خسر الاكليروس عامة بوفاته صديقاً محباً ولبناً مجاهداً حتى الجهاد دفعاً عن شرفهم فما كان احد يجسر ان يتفوه باساءة بحق اكليريكي أمامه ! وله بهذا الموضوع مواقف الأسد . قد كافأه قداسة البابا بيوس العاشر بمنحه وسام مار غريغوريوس الكبير من رتبة كافاليار استناداً على محررات صديقه الحميم ورئيسه المثلث الرحمات مار الياس بطرس الحويك البطريرك الماروني الجليل . فكان في ختام كل نهار عمل بعد ان يغلق باب معمله يفتح باب الكنيسة لدخول العملة الى اقامة الصلاة العامة شكراً لله . ولذلك كانت المراكز الدينية المسيحية كافة مع القصادة الرسولية تجل مقامه وتعتبره من المخلص واعز ابنائها وفي ما لديه من محرراتهم الثمينة دلالة ساطعة على تقديرهم لفضله وحسن مساعيه

مواقفه ابان الحرب

كنت تسمع من الفقراء العائدين من منزله ابان الحرب الدعاء والعمران لهذا
ت وكانوا ينادون بأعلى اصواتهم : لو كان على مسافة كل اربع ساعات بيت
يمثله لما مات فقير . لم يصدّ طالباً ولم يُرجع متوسلاً خائباً فباول شهر الحرب اتخذ
قرى ومزارع الجوار اكياس الطحين حيث وزّعت على فقرائها بواسطة اصحاب
واصل كل سني الحرب هذه الهبات بكل سخاء . وامر بزرع اراضيه المشجرة
ساعف التوزيع . فكانت رجاله تتراكض وراء الحبوب وكانت داره مأوى
ام والاطفال والارامل . وفي خلال سنة ١٩١٧ يوم عيد الميلاد امر والديه نعمة
ن ان يحملا على ظهرهما الخبز ويصعدا الى القرية لمؤاساة اهلها وتوزيع الاقوات
بين فيها ومثل هذا العمل تكرر في عيد رأس السنة ومن الحسنات التي تمكّن
المرحوم كتمان توزيعها ستة قناطير قمح وزّعت على البؤساء من يد كهنة الرعايا .
دهش المندوب البطريركي حضرة الخوري انطونيوس مبارك المرتقي الآن الى رئاسة
ة بيروت في اثناء زيارته القرية لتوزيع الاحسان البطريركي مما رآه وسمعه من
ر الكبار والصغار لصاحب الترجمة وحمل كل ذلك الى غبطة البطريرك ليده الله
ومن مآثره انه سهل لتصرفية الخيل اثناء ثلاثة ملاجئ للفقراء في قضاء الشوف
ة عتوب وبريح ومعوليا باحضار راهبات مار يوسف لادارتها . اما ما تبرع به
الملاجئ تتمثله حضرات منيرات الفاضلات بالشهادة الرسمية وما تحظى به
لبيت الكريم من العناية بتلك الادارة والعاطفة التي تنمّ عن إباء ووفاء . قلب
في معلوم ايضاً من الرابورت المقدم لحكومة بيروت من رئاسة واديرة راهبات
يوسف فقد كان كالعطشان أيان وجد الماء يباحها وأيان وجد سبيل للمساعدة
ه الكريمة . ونثبته من صورة هذا الرابورت النفيس ما له علاقة بالموضوع (١) .

(١) وهذا نص الرابورت في اصله :

Nous soussignées Supérieure des Sœurs de S^t Joseph de l'Ap
tion et religieuses ex-directrices des 3 hospices du Schouf :
Kousb, Mogwaya et Brih déclarons bien haut que Monsieur S
Neimé ainsi que son honorable famille nous ont rendu dura
guerre 1914-1918 des services innombrables et éminents, en s

وانجوا : قد قيل ان ألسنة الخلق هي مفاتيح الصدق فبيّن ذلك نبلاً . الطائفة الدرزية الكريمة وحامتها من فقد هذا الكريم نظراً لصدق معهم وكمال صداقته . فاجماع الاحترام لهذا رجل من كل الطوائف لسان وبرهان واضح ثبوت مكرماته

وما طار منعاه حتى تقاطرت الجماهير من النواحي لحضور مأتمه . فنقلت بكل الاكرام الى مدفن عائلته . فلما بلغ عاليه مرور النعش في ضواحي طرية بحمدون تألب جمهور غفير من المسيحيين تتقدمهم الصلبان ومن كرام الدروز . له وكذلك من اهل بحمدون مع لفيف الاكليروس . وبعد ان أقيم له حافل دُفن باكرام في مدفن العائلة الخاص ضمن الكنيسة وكان الاسف الجميع وبين الرئيسين الشعب جناب الشيخ هاني عبد الله والسترق له برقيق عبارته العصبية ونعيه احد شبان الدروز العائدين من المهجر نثراً بليغ تأثير . وبعد مضي اسبوع اقيم له في مقرايا جناز اسبوعي حافل حيث كافة الكهنة واهالي القرى المجاورة وفي الاحد الثالث اقام له اولاده جناز حافلاً في محله الثاني معاصر بيت الدين وتعذّر سيادة الحبر الجليل المطران اوغ البستاني الكلي الشرف عن الحضور لموانع صحية اوفد من قبله نائبه وبعد ان بلسان سيادته حق الفقيد من التأبين تلا في الكنيسة مرسوم التعزية باسم الفقيد من غبطة البطريرك الماروني الجليل وفيه ما فيه من آيات الاسى وا والانعطاف فكأنه رثى الفقيد عائلته من حقوق الحب والعطف الابوي هكذا

---

et la misère du pays et en dépensant son temps et son argent, au risque de sa vie pour le bien commun.
Il a toujours fait preuve d'une grande noblesse de caractère et d'un désintéressement vraiment rare.
Nous ne saurions assez lui adresser des félicitations pour sa conduite courageuse et sa [illegible] exemplaire.
En foi de quoi, nous lui donnons de tout cœur cette appréciation [illegible].

[illegible]

وثيقة تصديق الشهادة الرسمية من اعضاء السكرتاريا حضرة الاب [illegible]
تحريراً ٢٢ شباط ١٩١٩

اولاده بالمبادلة حقوق الوفاء البنوية وكما عاش سعيداً شريفاً هكذا مات سعيداً شريفاً رحمه الله عداد مبراته وحسناته امين

مناعي آل الوطن في اثناء الحرب

نظرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢ ضحايا الاتراك وشهداء حب الوطن (تتمة)

☙ عزيز فيعاني ❧ هو عزيز ابن نعمه فيعاني . كان تخرّج في كليتنا فامتاز بذكائه واجتهاده . ثمّ صار ترجمانًا اول لقنصلاتو روسيّة الجنرالية في بيروت . فكانت رتبة هذه الداعي الوحيد لنفيه في اوّل الحرب بامر جمال باشا وانهاء بكر سامي بك . لكنّه امكنه ان يعود الى وطنه مرّة اولى من حلب ثمّ مرّة ثانية من الشام بالوسائط ودفع الغرامة حتى نُفي مرّة ثالثة مع شقيقه وديع افندي الى سيواس ومنها الى توقات فكانت هذه المشقّات مع سوء معاملة المأمورين الاتراك مدعاةً لمرض التهاب الامعاء الذي أُصيب به فأودى بحياته في غرّة حزيران سنة ١٩١٦ . وظنّ لبعض انه مات مسموماً . وكان المرحوم من رجال الجد والنشاط محبوبا من الجميع لطفه واستقامته

☙ الياس الخوري ❧ مات منفيًا في حماة لما اصابه فيها من الضيق والكدر سنة ١٩١٧ . وكان اشتهر في التعليم في عدة مدارس مباشرةً بالمدرسة الوطنيّة التي انشأها في بيروت بطرس البستاني ثمّ في مدرسة طائفته المعروفة بالثلاثة الاقمار . توفي اخوه جبران في آيار ١٩١٨ وكان رسّاما ماهرا وحفّاراً للصور حاذقاً وكان كلاهما من افاضل الروم الارثذكس

☙ اسكندر صفا ❧ ومن ضحايا حوادث الحرب المرحوم اسكندر صفا من اعيان دير القمر كان نفاه جمال باشا السفاح الى الاناضول وبقي في النفي الى ان قورت تركية وطلبت الهدنة فعاد الى وطنه عن طريق الاستانة فاصابه فيها مرض الحمى الاسبانيولية فتوفاه الله في اول شهر كانون الاول سنة ١٩١٨ متمما واجباته

الفينية في عمر ثلاث واربعين سنة . تولى رئاسة المحاكم في لبنان مدة طويلة في قضاء جزين وكسروان والمتن والظهر في كلها متسعى الاستقامة والذكاء والنشاط وكان ممتازاً في تواضعه وجرأته لا يهاب عند الحق احداً من اصحاب النفوذ حتى انهُ خالف رأي متصرفَيْن لبنانيَّين في مدة امور ولمَّا توعدهُ واحد منهما لاستيائهِ من حكمه لم يبالِ بذلك الّا انهُ اخيراً وثق به جداً لما رآه من ثباتهِ وصلابته وكان على جانب من العلم بالشرع والقانون ويُحسن من اللغات الانكليزية والفرنساوية والعربية بفروعها وله سعة اطلاع في الرياضيات لا سيما في الجبر

٣ الأُدباء والصحافيُّون والكتبة

﴿ الشيخ شبلي نعمان ﴾ توفي في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ وله من العمر ٥٨ سنة . احد علماء المسلمين في الهند . وقد امتاز هناك بين مواطنيه ببلاغته في الكتابة اشتغل اولًا بالتعليم في كليَّة عليكده ثمَّ ساح في البلدان فاتَّسعت افكارهُ وادرك ما يحتاج اليه الاسلام من الاصلاح فحاول ان يخرج مداركهُ الى حيّز العمل فعُدّ من زعماء المصلحين . ولم يثنِ عزمهُ ما وجدهُ من المماحكة في تحقيق امانيه حتى نسبهُ البعض زوراً الى الالحاد . وقد الَّف مدة كتب في الفلسفة والتاريخ واللغة في العربيَّة والفارسيَّة والهندية حال الموتُ دون نشر كثيرٍ منها

﴿ نقولا رزق الله ﴾ كان شاعراً مطبوعاً متفنناً غزير المادَّة تروى له عدة منظومات حسنة . وقد نقل الى العربيَّة عدة روايات نشرها في مجلَّة الروايات الجديدة . توفي في مصر في نيسان سنة ١٩١٥

﴿ خليل سركيس ﴾ من اكبر انصار الآداب وخدَمة الصحافة في بلاد الشام تشهد له بذلك مطبعتهُ الادبيَّة التي انشأها ونشر فيها ما لا يُحصى من المطبوعات المفيدة في كلّ فنّ (راجع المشرق ١ : ٢٢٤ – ٢٢٩) . وقد تولَّى نشر عدَّة جرائد ولاسيَّما جريدة لسان الحال الشهيرة التي خدمت الوطن باخلاص نحو ٤٠ سنة . وكان صاحبها قد تخرَّج في المدارس الاميركيَّة وتمذهب بمذهب اساتذته لكنهُ بقي معتدل الخطَّة محبًّا للسلام مرتقاً للقلوب . كانت وفاتهُ احدى آفات الحرب في ١٩ ايار ١٩١٥ ولد في عبيه من لبنان في ٢٢ ك ٢ سنة ١٨٥٠ . وكبر المصاب على اسرته

الكريمة بوفاة ابنته ساره سركيس في يوم موت اخيها فدفنا في مشهد واحد (اطلب ترجمة في تاريخ الصحافة العربية للفيكنت فيليب دي طرازي ٢ : ١٢٩) . وللمرحوم عدة تآليف ما عدا كتاباته في اللسان نخصّ منها بالذكر تاريخ القدس الشريف وكتاب العادات ورحلة امبراطور المانية وسلاسل القراءة . هذا فضلاً عن خدمه المشكورة لترقية الصناعة لاسيما الطباعة العربية . وقد خوّله الله ولداً يجري على آثاره في كل مزاياه الطيبة

﴿ عساف بك الكفوري ﴾ ولد في كفر زبد من اعمال البقاع سنة ١٨٨٢ وتعلم في الكلية الشرقية في زحلة وعلم فيها وفي المدرسة العلمانية والكلية الاميركية في بيروت مدة اثنتي عشرة سنة وحضر دروس مكتب الحقوق الفرنسي . وكتب في كثير من المجلات وحرر المهذب وعرّب ست روايات تدمعها تمثيلية والف جملة كتب في الصحة والتاريخ والتعليم ونظم ديوانين واجاد في الخطابة والتمثيل . توفي في ٢٤ ايار سنة ١٩١٥

﴿ الشيخ ابرهيم الحوراني ﴾ ولد في حلب سنة ١٨٤٤ ونشأ في حمص والشام وتعلم في مدرسة عبيه وجاء بيروت سنة ١٨٧٠ وعلم في كليتي الصبيان والبنات الاميركيتين وفي المدرسة البطريركية وحرر جريدة النشرة الاسبوعية وتولى تصحيح مطبوعات المرسلين الاميركان وعرب والف كتباً عديدة ناهزت الثلاثين نخص منها بالذكر ردّه الحسن على مذهب دروين في كتابه المدعو الحق اليقين في الرد على بطل دروين وترك ديوان شعر كبير نفيس وامتاز بالرياضيات والحكم عدة علوم . توفي في ٢ ايار سنة ١٩١٦

﴿ ابرهيم صادر ﴾ كانت وفاته في ٥ ايار سنة ١٩١٥ في شيخوخة صالحة . من اكبر خدماته لوطنه انشاؤه اول مكتبة في بيروت دعاها بالمكتبة العمومية وذلك في السنة ١٨٦٣ ومع قلة بضاعته من الآداب في ذلك الوقت تمكن من جمع كتب عديدة خالت بها مكتبته . وكم تنقبنا فيها فوجدنا من المطبوعات النادرة والمخطوطات الفريدة التي تزين مكتبتنا الشرقية . وقد احتفل بيوبيل المكتبة العمومية السنة ١٩١٣ فطبع عدد خاص من قائتيا تذكاراً . كان المرحوم ابرهيم انيسا لطيف الطباع من الثقات . فالتفه واحد اعضاء الخورنية الام الخزينة محبة الى الفقراء ساعياً

في تهذيب الصغار معتنياً بأمور طائفته · خلفهُ في اشغاله ولداهُ الاديبان سليم افندي صاحب المكتبة العمومية ويوسف افندي مدير المطبعة العلمية وكلاهما من الافاضل

﴿ رزق الله سركيس ﴾ كان ايضاً من الكتبيين النشطاء والساعين في تنشيط الآداب مع الاستقامة في المعاملات والاعتصام بعروة الدين الوثقى · توفي في ٦ آذار سنة ١٩١٦

﴿ امين الخوري ﴾ توفي في دمشق سنة ١٩١٦ مستخفياً من وجه الدولة العثمانية · درس مدةً في كلية القديس يوسف ثم انقطع الى الطباعة وشغل الكتاب مع اخيه خليل الذي كان اكبر منهُ سناً وارجح عقلاً · وقد نشر بعض المطبوعات الدرسية بالعربية والفرنسوية · ثم خلف اخاهُ في ادارة المكتبة الجامعة ونشر بطبع بعض الصحائف كدليل بيروت وجريدة العثماني · وسكن مدةً في الاسكندرية فنشر فيها جريدة الاعلان · وكان خفيف الظل قليل التروي انحاز مدةً الى الماسونية مؤملاً منها خيراً لكنهُ جحدها في ساعة وفاته في مستشفى الراهبات الالمانيات حيث طلب من ذات نفسه كاهناً فتمم كل واجباته الدينية

﴿ فكتور شعيب ﴾ اغتالهُ المنون وهو في زهرة شبابه في ١٢ تموز ١٩١٦ في دمشق الشام وكان ذهب اليها سعياً في امور مدرسة الثلثة الاقمار التي كان تولى تدبيرها وكان المرحوم احد تلامذة مدرستنا الكلية ذا همة واقدام على العمل · لما رأى ما صارت اليه المكاتب الوطنية بمصادرة الاتراك المدارس الاجنبية تحفز لمساعدة ناشئة طائفته في مواصلة دروسهم واستدعى لذلك بعض الشبان الذين اقتبسوا العلوم معهُ في كليتنا فنفخ في مدرسة الثلثة الاقمار روحاً جديدة جاء الموت فأخمدها

﴿ الدكتور نعمن الخاوي ﴾ ولد في الشوير سنة ١٨٥٢ وخسر نظره في حداثته وسافر الى انكلترا متجاوزاً العشرين من عمره فتعلم في مدارس العميان اشغالهم واحكم اللغة الانكليزية ورجع الى سوريا فانشأ مدرسته في بيروت لمحرومي النظر ثم عاد ودخل مدرسة ادنبرج الجامعة في بلاد الانكليز يتلقى دروسها بالسمع وشرع يلقي محاضرات اذاعت صيته في سكوتلندا وادى امتحاناً لدى مدرسة وسليان الجامعة ونال منها شهادة دكتور · وبعد ان قضى في كندا زهاء عشرة اعوام جاء لبنان وسكن بلدته الشوير وعاش فيها يخدم مذهب البروتستانت

وتوفي في ٢٢ تموز سنة ١٩١٦

☜ الدكتور دانيال بلس ☞ هو رئيس المدرسة الكلية الاميركانية سابقاً ووالد المستر هوَرْد بلس الذي خلفهُ في منصب الرئاسة · توفي في ٢٨ تموز سنة ١٩١٦ وكانت السنة الخمسين لانشاء تلك الكلية التي لهُ الفضل الكبير في تأسيسها وصار رئيسها الاوَّل مدة ٣٧ سنة (١٨٦٦—١٩٠٢) فادارها بحكمة وحزم · على اننا نأسف لكونها صارت مركزاً لبث الروح البروتستاني ونشر حرية الافكار فكانت مغالاتها احد الدواعي لانشاء كليتنا الكاثوليكية ومدرستنا الطبية · كان مولد الدكتور دانيال بلس سنة ١٨٣٢ وجمع في شخصه جمال صفات الاميركيين من إقدام ونشاط وثبات على العمل رغماً عن تقلّب الايام · وبينما نحن نحرّر هذه الاسطر اذ علمنا بكل اسف وفاة ابنه في اميركا فأصيبت الكلية الاميركية بموته بضربة أليمة لما كان عليه هذا الفقيد من الصفات الحميدة والآداب وحسن التدبير · ألهم الله ذويه ومرؤوسيه تعزية وصبراً جميلاً

☜ المعلم خليل الخوري سركيس ☞ توفيَ المرحوم خليل في عبيه مسقط رأسه في ١٥ ت ١ ١٩١٦ وكان مدةً لا تقلّ عن عشرين سنة معلماً في المدارس الخارجية اللاحقة بكلية القديس يوسف ولهُ عدّةُ قصائد في الشعر الزجلي وقد اشتهر بتقواه وحسن تديّنه اذ خدم اخوية الام الحزينة في كليتنا بصفة كاتم لاسرارها مدة ١٥ سنة · وهو شقيق المرحوم الخوري يوسف سركيس الذي اشتهر بتقواه وغيرته في بلدته عبيه وانشأ فيها اخوية الحبل بلا دنس للرجال والنساء · وتوفي في ٢٣ آب ١٩١٦

☜ طاهر خير الله ☞ هو الشيخ طاهر خيرالله عطايا مليا ولد في الشوير سنة ١٨٣٤ وبعد ان تعلّم مبادئ القراءة اشتغل بها ١٢٠ عاماً ثم ذهب الى مدرسة عبيه بسن ٢٠ ولكنه لم يمكث متعلماً فيها الا سنة ونصف فأخذ يدرس لنفسه ثم علّم في كثير من مدارس سوريا الابتدائية والعالية وكتب في عدة صحف والف نحو اربعين كتاباً في الرياضيات واللغة والقواعد والدين بعضها جدلياً وكان يشتغل في العامية في خلال التعليم · توفي في بيروت في ٢٨ ايلول سنة ١٩١٦ · وقد قرّظنا في المشرق عدّة تآليف من قلمه كنحة الناظر في مسك الدفاتر ورسائله اللغوية وكتابه الفريد المسمّى بالادلة الغرّاء في سموّ شأن مريم العذراء · زيّف فيه مزاعم البروتستانتية

بأجلى برهان. وقد اوقفنا على كتابهِ الاخير في بتوليّة القديس يوسف ردّاً على مطران ملّة السيّد روفائيل هواويني في مجلّة الكلمة وعلى بعض تآليف اخرى فريدة

﴿ حنّا الخوري ﴾ هو حنّا بن جبرائيل الخوري وشقيق خليل الخوري صاحب حديقة الاخبار . توفي في ٢٥ شباط ١٩١٧ . تولّى مدّةً منصب قائمقام في الكورة وتعيّن عضواً لمجلس الاستئناف في بيروت . لهُ مقالات وخطب في جمعيّة زهرة الآداب وفي الحديقة ولهُ منظومات ايضاً وقد اعتنى بجمع آثار اخويهِ خليل وسليم

﴿ نجيب غرغور ﴾ توفي في الاسكندريّة بتاريخ ٢٧ شباط سنة ١٩١٧ بداء السكتة اثناء تأدية امور وظيفتهِ في ادارة البواخر الخديويّة وعمرهُ ٥١ سنة . كان من طائفة الروم الكاثوليك صادق الايمان . وكان منشئاً بليغاً خدم الصحافة في القطر المصري سنين عديدة فحرّر في عدّة جرائد فصولاً مستحسنة . ومنها ما تولّى انشاءهُ

﴿ محمّد ابو عزّ الدين ﴾ من الطائفة الدرزيّة . كان كاتب ضبط دائرة الحقوق الاستئنافيّة في جبل لبنان ثمّ تعيّن رئيساً لمحكمة الشوف وكان من ادباء الوطن المعدودين . وقد نشرنا لهُ في المشرق (٢ [١٨٩٩] : ٥٣٦) مقالة حسنة تحت عنوان «شهيد العلم» . وكثيراً ما راسل جريدة البشير وافاد القرّاء عن احوال لبنان . توفي في آذار سنة ١٩١٧

﴿ المعلّم ناصيف الزغزغي ﴾ توفّاهُ الله في شهر ايّار من السنة ١٩١٧ في حمّانا وكان في اول الحرب يعيش معتزلاً في وطنهِ فالوغا ومات خاملاً بعد ان علّم في مدرستنا في بكفيّا نحو خمسين سنة فتخرّج تحت يدهِ عدّة احداث اشتهروا بعد ذلك في انحاء الشام وفي مصر واميركا عرفوا لهُ فضلهُ في تهذيبهِ لعقولهم واثنوا على طيب عنصرهِ وخلالهِ الطيّبة وكانت وفاتهُ وفاة الابرار بشفاعة سيّدة النجاة التي كان رئيساً على اخويّتها مدّةً سنين عديدة . وقد راسل جريدة البشير عشرات من السنين ولهُ فيها مقالات مفيدة

﴿ الشيخ حمزه فتح الله ﴾ توفي شيخاً في السنة ١٩١٧ . وهو احد ادباء القطر المصري كانت الحكومة عيّنتهُ مفتشاً على المدارس الوطنيّة . قد خلّف عدّة تآليف نثراً ونظماً فضلاً عمّا نشرهُ من المقالات في جرائد الاسكندريّة

﴿ علي ابو شوشة ﴾ من ادباء تونس اسس سنة ١٨٨٧ اول جريدة هناك بعد الجريدة الرسمية المعروفة بالرائد التونسي فاقبل عليها الناس بعض الاقبال . توفي سنة ١٩١٧

﴿ فتح الله الجاويش ﴾ فجعت به الآداب في ٦ تموز ١٩١٨ . فكان لنعاه رنة أسف في طائفته وبين كل معارفه لما اشتهر به من حسن الاخلاق وسعة العلوم والاستمساك بحبل الدين. خدم وطنه في عدة مهمات باخلاص وعزم اقر لها كل رؤسائه . وكان كاتباً خطيباً نشر عدة مقالات في الجرائد الوطنية استحسنها القراء . وكان يجاهر بعبادته الدينية لا تأخذه فيها لومة لائم . وربما تطاول على الدين المسيحي الشيخ يوسف النبهاني تصدى له علانية وافحمه قدام كل جماعته فألزموه السكوت . ولفتح الله مخطوطات مبنة في التاريخ والآداب أفاضنا منها وتتمنى ان لا تبقى محجوبة في زوايا النسيان . وله ايضاً قصائد وتواريخ شعرية

﴿ بشير رمضان ﴾ كان من ادباء المسلمين في بيروت يحرر في مطبعة الولاية . ولما أعلن الدستور سنة ١٩٠٩ انشأ مجلة الكوثر فأودعها عدة فصول ومقالات حسنة . ومن آثاره منتخبات شعرية وقصائد من نظمه . توفي سنة ١٩١٨

﴿ الشيخ اسكندر العازار ﴾ من ادباء الروم الارثذكس واحرار الكتبة ولد في بيروت في ١٧ ك ١ سنة ١٨٥٥ وكان ابوه متولياً ادارة مطبعة القديس جاورجيوس فنشأ على حب الآداب ودرس في عدة مدارس وانتهى دروسه في مدرسة الامير كان في عبيه فتشرب روح معلميه ثم انحاز الى الماسونية فكان احد اعضائها العاملين الى ان عرف دهاءها فانقلب عليها وصار يجاهر بسيئها وملامتها وعارض جرجي سرسق في تشييل اليهودي الثالث . واشتهر بالكتابة فحرر المقالات المتسلحة في عدة جرائد وخصوصاً في جريدة التقدم مع اديب اسحاق فدخل كلاهما في الجدال مع جريدتنا البشير دون الحياد عن آداب البحث لولا انهما دافعا عن مبادئ مخالفة لروح الدين . وقد انتهت تلك المناقشات بتعطيل الحكومة لجريدة التقدم ثم نهضت وكبت مراراً حتى توارت من عالم الصحافة . وبقي الشيخ اسكندر مواظباً على تعزيز آرائه السياسية والاجتماعية رغماً عن معاكسة الدولة العثمانية التي لم تكن تنظر بعين الرضى الى مبادئه الحرة . وكان خفيف الروح في كتاباته متفنناً في اساليبه يتقرب

في البعض منها الى اللهجة العامية كخواطره « ترلي ترلي » وفكاهاته المنونة « بجواهر البيت » . وله نظم حسن يسعى بجمعه مع خطبه الاديب الهمام جرجي افندي نقولا باز . توفي الشيخ اسكندر في ١١ ك ٢ ١٩١٩

﴿ نجيب البستاني ﴾ هو ابن بطرس الكاتب واللغوي الشهير . كانت وفاته في مصر في ٣٠ نيسان من العام الماضي ١٩١٨ وكان مولده في ٧ ك ١ سنة ١٨٦٢ . درس الادب على ابيه وعلى اخيه سليم وحرر عدة مقالات في الجنة والجنان حتى صار اليه امتيازهما بعد وفاة اخيه سليم سنة ١٨٨٤ . وكان ساعد اباه في تأليف دائرة المعارف وخلفه في مواصلة نشرها . ثم عكف على القضاء وتولى في لبنان رئاسة محكمة المتن في ايام نعوم باشا ثم منصب المدعي العمومي الى ان قصد مصر واحترف فيها بزاولة فن المحاماة الى آخر حياته . وقد حاز عدة اوسمة من دول شتى وخصوصاً وسام القديس غريغوريوس من لاون الثالث عشر بعد ارتداده عن مذهب ذويه البروتستاني

﴿ صموئيل يني ﴾ من ادباء الروم في طرابلس الشام جارى اخاه جرجي افندي وشاركه في انشاء مجلة الباحث . وله ما عدا ذلك جملة آثار كتابية . توفي في العام المنصرم في طرابلس . وفيها توفي في ٢٥ ك ٢ من هذا العام صحافي آخر محمد كامل البحري صاحب جريدة طرابلس . ومؤلف اخبار سياحة بأشرها الى بعلبك وجهات الشام

﴿ يوسف خطار غانم ﴾ كانت وفاته في ٢٠ آب ١٩١٩ . كان من اسرة قديمة وولد هو في شيخونة والديه سنة ١٨٥٧ ودرس في مدرسة الآباء اليسوعيين القديمة في بيروت ثم ثبت على ملازمة الدرس والقراءة حتى اصبح كاتباً ضليعاً وشاعراً محسناً فحرر عدة فصول في كثير من صحف الشام ومصر ونظم قصائد عديدة كان يتفنن في وضعها . وكل يعرف براعته باسم اخوية القديس مارون طبع جزءاً منه في مطبعتنا الكاثوليكية اودعه شيئاً كثيراً من اخبار طائفته الجليلة ورؤسائها ومشاهيرها . ثم توقف من نشره لضيق ذات يده . وانا نال من فضل الكرسي الرسولي عدة اوسمة وامتيازات ورتبة كالقليم جزاء خدماته . ولولا بعض التطرف في احكامه وبعض الهوس في عقله لعد من افاضل كتبة عصرنا

﴿ قيس لبكي ﴾ كان مهاجراً الى اميركا محرراً في جرائد البرازيل في سان

باولو وغيرها . وقد عُرف هناك بتطرُّفه وتحامله على الدين فقندنا في الشرق غير مرة مزاعمهُ . وكذلك لصديقنا الاديب شكري الخوري متشئ الي الفرل ردود عليهِ في كتابهِ القبلة الصغيرة . توفيَ بداء القلب في ٢٩ ت ٢ ١٩١٩

﴿ رشيد بك الرامي ﴾ توفيَ في ١٦ ك ٢ ١٩٢٠ عن ٤٨ سنة كان متضلعاً من العلوم القانونية عُهدت اليهِ عدةُ مراكز في سلك العدلية في لبنان وفي الولايات . وبعد الحرب تعيَّن كمبعوث لبنان . وكان رشيد بك متديّناً تقيّاً دمث الاخلاق

﴿ نعمان قساطلي ﴾ كانت وفاته في شباط الاخير ١٩٢٠ . وهو من أدباء الشام ألّف كتاب الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء .

ومات غير هؤلاء الادباء ممن لم نقف لهم على تاريخ كتامر افندي ملّاط رئيس محكمة كسروان البدائية والشاعر المجيد . وكريانا مرّاش في حلب . وعقل مشعلاني في مكسيكو

هذا وكم فُقد في اوربا من العلماء في اوان هذه الحرب المشؤومة . نكتفي بان نورد هنا اسماء بعض المستشرقين الذين خدموا بلادنا بتآليفهم النفيسة . ففي السنة ١٩١٥ في ١٨ شباط مات في ساحة الشرف جان مسبرو الذي جرى على آثار أبيهِ في العلوم المصرية القديمة والبوزنطية . وتوفيَ ابوهُ غستون بعدهُ في ٣٠ حزيران ١٩١٦ وله من الشهرة في التآليف الهيروغليفية والاكتشافات الاثرية ما لم ينلهُ غيرهُ — وفي ٢١ شباط ١٩١٥ خسرت الآداب الكتابية احد اساطينها الاب فيكورو صاحب معجم الكتاب المقدس ومؤلف كتب عديدة في الاسفار المقدسة وكان عالماً باللغات الشرقية وتشرَّفت بلادنا بزيارتهِ — وفي ٢ تموز من السنة مات في الحرب الكرمندان كروس الذي تولّى حفريات تلّو في العراق = وممن توفي في ١٩١٦ غدفريد كورث احد كبار المؤرخين البلجكيين والكاثوليكيين الصادقين مات في ٤ ك ٢ — وتوفي في ١٧ نيسان منها اولفست بَرْث الشهير بالعلوم الهندية . ثم ايثان ترنشري احد المستشرقين الروسيين (٤ حزيران) . ثمَّ مادام جان ديولافوا السائحة الشهيرة الى انحاء الشرق الكاتبة المشارة في آثار العجم وتواريخها والرافقة زوجها في كل اعماله الادبية (١٦ ايلول) . ثمَّ المستشرق الطائر الصيت ملكيور دي فوكويه ذو الآثار المتعددة (١٠ ت ٢) . ثمَّ الكاتب البليغ بول ألار مؤلف تواريخ الاضطهادات النصرانية (ك ٢)

= وفي السنة ١٩١٧ رُزِئت الآداب الشرقية بوفاة منشئ المجلة السامية يوسف هالوي (٢١ ك ٢) . ووفاة المستشرق الطابع ارنست لرو (Ern. Leroux) (٢٠ ايار) . ووفاة الاثري المصري جورج لوغرين (G. Legrain) (آب ١٩١٧) . ومات سنة ١٩١٨ في ١١ منها الاثري اميل غيمه (Em. Guimet) . ومات في الالمانية المستشرقون مرتين هرتمان كنصل المانية قنصلية ببيروت سابقاً وجيرت ناشر ديوان القطامي . وفلهوزن صاحب التآليف الشرقية المتعددة وغيرهم ايضاً

٤ الاطباء والصيادلة

☜ الدكتور جورنسكي ☞ فقد الحلبيّون هذا الطبيب النمساوي في ١ شباط سنة ١٩١٦ وكلهم يذكرونه بالخير . كان نمساوياً وتوطن حلب زمناً طويلاً فربح شكر اهلها عموماً بخدمه الصادقة التي اداها الى الجميع على اختلاف مللهم واديانهم وبالخصوص الى الفقراء الذين كانوا يلتجئون اليه ويعرفون نزاهته ورقة قلبه يعالجهم مجاناً ويصرف من ماله عليهم . وكان للمرحوم مركز ادبي ممتاز في الشهباء ومنزلة عليا بين الخاصة والعامة يتذاكرون في اطراء مناقبه وحسن صفاته . هذا فضلاً عن مجاهرته بتديّنه الدينية وحفظه لوصايا الكنيسة الكاثوليكية بكل تدقيق

☜ الدكتور يوسف بك الزامي ☞ ولد في قالوفا سنة ١٨٥٦ وتعلم في مدرستي عزير والتين وذهب الى الاستانة فدرس في المكتب الاعدادي لستعداداً للطب ودخل المكتب الطبي العسكري وقبل نيله شهادته تعيّن معاوناً لعلم التشريح وبعد الشهادة علّم ٣٦ سنة في مكاتب الطب العسكري والملكي والصنائع النفيسة . وجاء الى بيروت عشر مرات مع اللجن الممتحنة لفحص تلامذة مدرستي الفرنسية والاميركية الطبيّتين مرة منها فقط غير رئيس . وكان عضواً في مجلسي الصحة العمومي والمعارف الطبية ومن اركان مؤلّفي دائرة المعارف التركية . والّف عدة كتب وطبع بعضها بلغة الترك ونال ستة اوسمة وثلثة انواط وبلغ رتبة امير الاي واحيل على التقاعد فاستقرّ في لبنان وتوفي في بيروت في ٢٦ ك ١ سنة ١٩١٦

☜ الدكتور شبلي شميّل ☞ كان بودّنا ان لا نذكر هذا الرجل الا بالخير وفيه ما فيه من الالمعيّة والذكاء والعلم باصول الطب والمعارف الاصليّة الا انه شوّه ذكره

بانحيازه الى المذهب الداروني والى اقوال اللاادريين والملحدين وكان يجاهر بذلك وكتب مدة تآليف لتأييد تلك المبادئ الوخيمة فجعلها عثرة في سبيل الشبيبة حتى انَّ اصحاب المقتطف مع جنوحهم الى آرائه ردّوا عليه في بعض اعداد مجلتهم كما اشرنا الى ذلك في المشرق سابقاً ‹ وقد تعجب صاحب المنار الاسلامي (١٩ : ١٢٥) من سكوتنا عن الدكتور ٠ لكنَّ جريدتنا البشير كانت فنّدت آراءه ٠ وكذلك ردّ حضرة الخوري جرجس فرج صفير في كتاب اصل الانسان والكائنات سنة ١٨٩٠ على ما نشره من تعاليم بخبر في مذهب النشوء والتحوُّل ٠ ومثله فقيد الادب ابراهيم الحوراني ٠ وبا ليت الدكتور شبلي سار على آثار اخيه المرحوم امين ٠ كانت وفاته في غرة السنة ١٩١٧

﴿ مراد بك البارودي ﴾ اخترمته المنيَّة في ١٠ شباط سنة ١٩١٨ ٠ فعم الاسف جميع معارفه لما ازدان به شخصه من الخلال الطيّبة فكان رضيّ الاخلاق رحب الجنان متحنناً على الفقراء كثير الادب ذا معرفة واسعة بامور الصيدلة وكان محبّاً للآثار القديمة يبذل في جمعها مالاً جزيلاً ومثلها المخطوطات الشرقيَّة القديمة ٠ كان الفقيد تخرَّج في الكليَّة الاميركانيَّة فعدل عن طائفته الاورثدكسيَّة ودان بالبروتستانيَّة ٠ ومات بعده باسبوع عديله الحكيم امين عبد النور افندي بسقوطه في بئر كانوا يخرجون منها الفحم رحمهما الله

﴿ الدكتور سليم جلخ ﴾ ولد في قصبة بعبدا في ١٠ ك ١ سنة ١٨٥١ ثمَّ توطّن بيروت مع اهله سنة ١٨٦٠ ودرس في مدرسة عينطوره (١٨٦٤) ثمَّ في المدرسة البطريركيَّة (١٨٦٩) وبعد ان تعاطى مدَّة اشغال والده الدكتور يوسف بشاره الجلخ دخل الكليَّة الاميركانيَّة سنة ١٨٦٨ ونال شهادتها سنة ١٨٧٣ واضاف اليها في الاستانة اجازة المكتب الطبيّ السلطاني وكان تعيَّن قبلها طبيباً لبلديَّة صور وفي عجلتون ثمَّ في بيروت ٠ وقد خدم حيناً من مواطنيه بنشاط ونزاهة وقد اشتهر بحنانه على مرضى الفقراء ٠ وكان في اوَّل امره يميل نوعاً الى افكار اساتذته الحرَّة ثمَّ لم يلبث أن تأصَّل بدينه ٠ ففي سنة ١٨٨٥ سعى مع بعض اصحابه بانشاء اخويَّة القديس مارون وترأسها مراراً وأسس سنة ١٨٩٦ مع المرحوم نجيب حبيقة وجناب المحامي انطون بك شحيبر جمعيَّة اخوة الفقراء المارونيَّة ٠ وكان عضواً من

اخوية الحبل بلا دنس ومشتركاً بجمعية مار منصور دي بول . وله عدة آثار ادبية وطنية منها كتابة صفة الاحتفال وخطب ومقالات مختلفة في المجلات والجرائد توفي في ١٣ ايار ١٩١٩

✿ الدكتور رشيد شكر الله الحلو ✿ هو ابن المرحوم الطبيب اسعد بطرس شكر الله الذي خدم ابناء وطنه بمبدا احسن خدمة وكان درس الطب على نفسه وحذقه بالعمل ومثله اخوه المرحوم الصيدلي انطون الذي اسس سنة ١٨٥٩ الصيدلية الشرقية في بيروت فخلفه في اشغاله انجاله الدكتوران الياس وجورج والصيدلي بطرس الذين يعرف الجميع فضلهم . وقد امتاز المرحوم رشيد مثلهم بحذقه في مهنته وبتدينه . ومن آثاره امتيازه مع مواطنيه بترميم كنيسة بمبدا القديمة وتشييد كنيستها الجديدة سنة ١٩٠٩ . . وكان شديد التقى يحضر كل يوم الذبيحة الالهية . وقد ذكرنا في المشرق (١٠ [١٩٠٧] : ٥٢٦) تاريخية لعائلته . توفي في كانون الاول ١٩١٩ عن ٦٩ سنة بعد عجزه عدة سنين على مرض مزمن

✿ الدكتور حسين بك حيدر ✿ من اسرة آل حيدر الشريفة في بعلبك المعروفة بروتها وكرمها . درس في مكتبنا الطبي الفرنسوي ونال شهادته . ولما اعلنت الدولة العثمانية بالحرب وجهت نيتها الى التنكيل بآل حيدر لميلهم الى الدولة العربية وفتكت بالبعض منهم ونفت البعض لكن القسم الكبير منهم تصدّوا للظالمين واذاقوهم وجنودهم الامرّين فخرجوا من قتالهم فائزين بعد ان وقع بعض ابطالهم في ساحة الوغى ومن جملتهم الدكتور حسين بك حيدر وذلك في اواخر الحرب العمومية (راجع تاريخ العصر الدموي لناصيف بك ابي زيد ص ٣٠٢)

وقد ذهب في هذه الحرب الاخيرة عدد وافر من الدكاترة المتخرجين في مكتبنا الطبي شهود محبتهم لوطنهم في خدمة العسكر العثماني في ساحة الحرب او في المستشفيات نخص منهم بالذكر ابرهيم معربس في حملة السويس (١٩١٥) والياس عرمان في فلسطين (١٩١٦) وناوفيل ذبانة في الشام (١٩١٦) ومنصور الخازن في بعلبك (١٩١٦) ومسعد كرم في بزابك (١٩١٦) وفريد حرفوش في الحجاز (١٩١٧) واسكندر مرقده في عقرله (١٩١٧) وعبد المجيد حماده في بيروت (١٩١٧) والامير شامل شهاب وجورج سمان وانطون ذبانه ولا نعلم في اي تاريخ

اما تلامذة المكتب الطبي الارمن فآثر الاتراك التنكيل بهم ظلماً بدلاً من الانتفاع من خدمتهم فقتلوا الدكاترة فاهان برونقرتيان في ديار بكر (١٩١٥) واغاه الياس في قرلستد (١٩١٥) وسورين نشانيان في قيصرية (١٩١٥) ومهران كتشيان واغاه جورج في آطنة (١٩١٦) وطوروس بابغيان في طرابزون (١٩١٧) وميساك بانوسيان في طوقات (١٩١٧) ودغران بوتوكيان في سيواس (١٩١٧) وفاهان قرتنيان في سيواس ايضاً (١٩١٨) ودغران سرابيدريان (١٩١٨) ونشان ديرم قهران ناعميان في خربوط وبغدار قرتنيان في سيواس وكتشادور بسطرميان في ملاطية. فدماء هؤلاء الابرار قد جرت هدراً ويا ليتها سُفكت في خدمة الوطن. ولعلّها سُفكت بغضاً بالدين فكانوا شهداء ايمانهم

ونضيف الى هؤلاء المذكورين الدكاترة المرحومين رشيد بيسدي (١٩١٥) وحبّي (آذار ١٩١٧) ومنصور سرداء (١٩١٨) وصعب ملاط (١٩١٨) ويحنّه مدوّر (١٩١٨) واسعد شيبان (١٩١٨) وعبد الرحمان الانسي (١٩١٩) والياس الحاج (١١ آذار ١٩٢٠) . والصيدلي اسكندر الحلو (٢٧ ك٢ ١٩١٩) . رحمهم الله جميعاً

الاتقياء وارباب البر

هذا الباب واسع فان كثيرين من ذوي البرّ والتقى انتقلوا الى جوار ربهم في هذه السنين الاخيرة لا يسعنا ذكرهم بل احصاؤهم فنكتفي بالنزر القليل

﴿ ناصيف عكرة ﴾ توفي يوم سبت الآلام سنة ١٩١٥ ودفن مساء عيد الفصح كأن الربّ اراد ان يبرهن بموته وقيامته بعد ميتته الصالحة التي قضاها في كلّ اعمال البرّ حتى انّ مرشد ضميره اكد انه لم يفقد طول حياته برارة معموديته . ولد ناصيف في لوندرة سنة ١٨٥٨ ورضع التقوى مع حليب والدته القديسة ثمّ دخل اخويّة الامّ الحزينة في زمن المرحوم الاب حنا فيروفيش فصار عميدها الاشدّ وسندها الاكبر مدة نحو اربعين سنة مضحّياً نفسه في خدمة ابنائها الروحية والمادية . وهو في الوقت عينه مثال حيّ في ممارسة كلّ الفضائل المسيحية عائشاً في العالم عيشة اتقى الرهبان في اديرتهم لا يفوته شيء من كلّ الاعمال المبرورة الشاقة من صوم

وصلاة واعمال تقوية فضلاً من الواجبات الدينية اللازمة . ولعلنا نعود الى ذكره ونفرد له ترجمة خاصة ان شاء الله

* جرجي يوسف ابيلا * كان في حلب عمدة كل الاعمال الخيرية والتقوية كنا صيف مكرة في بيروت . ولد في ٦ ك ٢ سنة ١٨٤٩ وتوفي في ٧ آذار ١٩١٩ . سبعون سنة لم يخلُ فيها يوماً من بعض الحسنات . تعشق الشغل منذ حداثة سنه لكنه مارسه بروح التقوى والاستقامة التامة . ولم يكتفِ بترتيب امور بيته وتربية بنيه الصالحة بل قدم نفسه طوعاً لمؤازرة الكهنوت طائفته السريانية وخدمة الآباء المرسلين في كل مشروعاتهم الدينية كالاخويات والجمعيات الخيرية والسجود الليلي القربان الاقدس وتلقين الاحداث مبادئ الدين واجتذاب العملة الى العيشة الفضلى التي كان هو مثالها الحي الى آخر نسمة من حياته

* نخله شكري * هو نخله بن بطرس شكري كان رئيساً لاخوية القديس يوسف واخوية الحبل بلا دنس المارونيتين وقد وضع لذلك كتاباً دعاه الايضاحات الوفية في واجبات الاخوية . وكان عريقاً في الدين كثير التقوى والصلاح ذا غيرة مشكورة في خدمة الجمعيات الخيرية . وقد احسن ادارة الاوقاف في كنيسة مار مارون . توفي في ايار ١٩١٩

وكان بودنا ان نذكر كثيرين ممن عرفناهم وكانوا بصلاحهم وتقاهم ومبراتهم قدوة لمواطنيهم لولا صعوبة الحصول على آثارهم كبشاره جاهل وابرهيم عودا ونقولا نحاس من الروم الكاثوليك وعبدالله غانم وبطرس الحلو (٢٠ ت ١ ١٩١٥) والياس برقي من جزين (٢ شباط ١٩١٨) . وجان ابيلا (ت ١ ١٩١٦) وجرجي شيحا (٢٥ ك ١ ١٩١٧) واسكندر شيحا (١٩١٩) من اللاتين . وابرهيم حداد الارمني (١٢ آذار ١٩١٨) والطون مسابكي (٢٣ آذار ١٩٢٠) ومثلهم بعض عملة مطبعتنا ككلثوم نقل (١٩١٨) وجبران دكاش (٣ ك ٢ ١٩٢٠) . رحمهم الرب واثابهم ثواباً جزيلاً

* اصلاح غلط * وقع في هذه المقالة بعض اغلاط نورد إصلاحها هنا :
ص ٨٦ س ١٩ مولد المطران بولس مسعد في ٦ ك ١ لا ك ٢ — ص ٤١ س ٢١ ترامته في ١٨٨٩ لا ١٨٧٩ — س ٢٥ كتاب التحفة الغراء ليس له بل البطريرك بولس مسعد = ص ٨٧ س ١٥

للدكتور يوسف العلم تلميذ دار عطا ليس عين ورقة = ص ٣٨٦ س ٢٠ كانت وفاة الشيخ عبد الرحمن الحوت في ٥ آذار ١٩١٨ ليس ١٩١٧ = ص ٣٨٧ س ٦ اصل جرجس صفول من بيروت لا من حاصبيا ولم يدخل في خدمة الامير بشير وانما كان من افاضل الوطن = ص ٣٨٨ س ١٣ وفاة بيجان فرح في ٢٣ ايار لا نيسان = ص ٣٨٩ س ١٧ وفاة اسكندر ميك سنة ١٩١٩ لا ١٩١٨ = ص ٣٩٠ س ٥ قتل المرحوم يوسف الهاني في ١٩١٦ لا ١٩١٥ — س ٢٢ كان مؤتمر باريس العربي سنة ١٩١٣ لا ١٩١٤ = ص ٣٩١ س ٢ الامير عمر هو ابن الامير عبد القادر لا حفيده — س ١١ قتل عبده المحمصاني سنة ١٩١٥ = ص ٣٩٢ س ٢٢ حبيب دوناتو كان مارونياً وترقى في مجمة سلك . والقنصل في تغر السكة الحديدية هو توفيق عبد الله معلوف

العقوبة عند البدو في سوريا

بقلم الاديب ميشال شبلي احد طلبة المشرق

ما من شيء ينمّ عن عوائد الاقوام ويدلّ على اخلاقهم وطباعهم ونوع معيشتهم والحالة على حياتهم الاجتماعية مثل الحقوق المتبعة والقوانين المرعيّة عندهم . ولذا كان من اهم ما يعتمد عليه المؤرخون ويدرسه علماء الاخلاق والاجتماعيات في كتاباتهم عن احوال شعب ما الحقوق التي يتمتع بها ذلك الشعب والقوانين التي أجمع افراده على الخضوع لها

ذلك لأنّ القانون هو ثمرة التقاليد التي كوّنتها الاجيال في العقول وهو زبدة الاعتقادات التي ائتمّ بها الشعب في اثناء اجتيازه القرون . فاذا رأينا بين رجال التاريخ من أُطلق عليهم لقب المشترع فلا يجب ان نفهم بذلك انهم هم الذين وضعوا الشريعة بل ان ما عملوه ليس هو الا جمع العادات وضبطها لان القوانين والشرائع كانت منذ كان الانسان أليفاً يعيش العيش الاجتماعي مع بني جنسه

وقد بلغ اليوم الانسان في الامم الحديثة مبلغاً من الرقي وما جمعه القوانين وتسطيرها وتحويرها الدائم بنوع يلائم الحالة الاجتماعية التي بلغ اليها الا شاهدٌ من الشواهد على فطرته الاجتماعية

فلا عجب اذاً اذا رأينا كلّ شعب خطا في سبيل حياته الى الأمام حريصاً على ضبط نظاماته حسب روح التمدّن الاجتماعي الحديث . وبما ان الانسان اين كان على سطح الغبراء هو أهل إن قُيّضت له سلطةٌ شرعيةٌ منظمة وقُدِّر له حال الأمن

والرغد أن يسير في طريق الرقي الى آخر أشواطه وجب علينا ان نقول اذاً ان الشعوب والاقوام التي لم تزل زاحفة في عصرنا هذا في طور الحداثة نظراً لقوانينها واعتقاداتها وعاداتها بالنسبة الى الامم الحديثة الراقية ان ليس هناك عجزٌ وخمولٌ طبيعة بل ان هناك اسباباً أثرت على العقول فأوقفت تلك الاقوام عن السير الى الامام خلال الاجيال

اجل اننا لا نتمالك نحن ابناء هذه البلاد السورية من النظر بمرارة ولهف الى اطراف البلاد فنرى فيها اقواماً من البدو بل ومن الحضر ايضاً لم يزالوا في حالة الانسان الفطرية وفي الحالة التي كان عليها اجداد الامم الحديثة منذ عشرات الاجيال . وقد كان الأولى بنا نحن في هذه البلاد ان يكون لنا ما نُباهي به ونُفاخر من قوانين تكون مثلاً للأمم وبلادنا كانت مهبط الشرائع والقوانين الالهية ومَنبت اعظم علماء الشريعة في التاريخ وحسبي ان اذكر بابينيانوس وقد قالوا عنه انه اعظم علماء الرومان في الشريعة على الاطلاق . وهو سوريُّ الاصل ومثلهُ مُواطنهُ اولبيانوس وهو يضارعه علماً وشهرةً تاريخية

وبعد وقوع الفتح الاسلامي لم تكن سورياً عقيمة في انتاج العقول الكبيرة لدرس الشريعة والفقه كفى دليلاً عليه الإمام الشافعي احد ائمة الاسلام الاربعة الكبار هو سوريٌ والامام محمد الشيباني من اعظم اصحاب ابي حنيفة هو سوريٌ وأجتزئ بهذا كيلا يطول بي المجال

ولكن ان توقفت سوريا عن الرقي ونشهد بتوقفها ما بقي بين سكان اطرافها من الفرق والعادات التي تشين الحقوق الحديثة فما كان ذلك الّا لأسباب لا دخل لي في ذكر اسبابها . وقد ننسى الماضي بما لنا من الأمل في المستقبل

اما الآن فما كنت لأتعمد سوى لمحة عجلة عما عند اولئك الاقوام من بدو وحضر في اطراف سوريا من عوائد لم تزل منذ اجيال الانسان الأولى وخصوصاً عما يتعلّق منها بالعقوبة محاولاً على قدر استطاعتي بعض المقابلة مع ما كانت عليه تلك العوائد ذاتها عند الشعوب القديمة . ولست اتطرّق الى ما عندهم من عوائد اجتماعية وشرائع مدنية قد يكونون متبعين فيها شريعةً مسطورة أخذ معظمها ولا ريب عن الشرائع القديمة ولخصّها الرومانية

فاهيك مثلاً عما عند اهل البادية بشأن الزواج وهو عقد مدني : فليس عندهم شيء محض يؤهل لعقد الزواج (١

وقد كانت هذه حالة الشريعة الرومانية في طورها الاول حيث كان [illegible] هو الذي يتحقق فعلاً بلوغ طالب الزواج

(قطعة مشطوبة في الرقابة عن الطلاق في البادية ومعارضتها على الشريعة الرومانية)

❖

اما العقوبة وهي الهدف الذي توخيته في كلامي فقد كان للاب الفاضل الخوري بولس سلمان فضلٌ كبير بوصفه مسهباً في اعداد المشرق الاخيرة عوائد البدو في تلك الاطراف ، فانه يسد فراغاً كبيراً في دروس احوال سكان تلك البلاد . لانه قبل ذلك كان على السوري مثلاً ان يعمد في درس اخلاق وعادات اهل بلاده الى ما كتبه ويكتبه الرحالة والجوالون من الاجانب

وجلُّ ما تعمدته الآن ان اذكر ان كل ما هنالك من عوائد وشرائع متفرقة

١) ذكر ذلك الاب جوسين في مجلة الشرق المسيحي L'Orient Chrétien, 1910, P. 593)

انما هي في الحالة الفطرية لم تزل في عصرنا هذا عند الاقوام التي لم تشعر بتيار التمدن الحديث بل ضربت الاجيال حولها سوراً لا يزول الا مع الاجيال

ونقول مثلاً ان هناك اصطلاحات عدة فما هي كذلك بالنسبة لغيرها بل بالنسبة لما هو عليه مجموع تلك العوائد . فان قلنا مثلاً ان القاضي لا يتروّى ولا يماطل في اصدار احكامه فذلك حسن بل واجب في مجتمع كذلك المجتمع الذي ليس عنده. يجوز تدوين الوقائع والمحاكمات فيخشى اذ ذاك من نسيان القضية او ضياع الشهادات ولكن ذلك ليس بأفضل من التأني قبل اصدار الاحكام لتتضح الحقيقة بأبهى مجاليها سيما اذ لا يُخشى من نسيان القضية وموت الشهود وقد أُودعت شهاداتهم السجلات

ومثل ذلك قولنا ان الرواة لهم فضل في حفظ تاريخ شعب ما . ولكن لو كان ثمت تاريخ مسطور لكان افضل واثبت . فبعدم كتابة التاريخ صار للرواة فضل

ولا يخفى ان الشريعة عند الاقوام المتأخرة انما تكون مقتضبة مجتزئة بمبادئ اولية . ذلك لانه لا حاجة ماسة فيها الى التوسع لضيق معارف تلك الاقوام ولعدم حاجتهم لشريعة ضافية البنود والمواد اذ قد يكون عادة بين الافراد عندهم عقود والتزامات وأخذ وعطاء كما في المدنيات الحديثة

ولهذا فاننا نرى ان ما يحتاج اليه الانسان في الحالة الفطرية يكون: اولاً الانتقام الشخصي . وثانياً الدفاع عن مقتناه ضد السارق . وفي خلال كلامنا عن ذلك سنقول كلمة عن القاضي والشهود عند البدو وكل ذلك بالايجاز حسب الامكان ومقتضى الحال

اولاً : (الانتقام الشخصي) ان سنة القوة هي اول ما بدت في المجتمع الانساني حتى خالها البعض من النواميس الطبيعية فقالوا لا بدّ من سيادة القوي على الضعيف . ولكن اذا قبلنا بهذا فمن يكفل للضعيف كيانه ؟ ومن يضع الحد لتغطرس القوي الا تلك السلطة العمومية وهي شرعية كانت منذ كان الانسان عائشاً بين امثاله

فمن المحال اذاً ان تسود سلطة القوي وهي تبدو خلال الانتقام الشخصي مع وحدة السلطة العمومية التي لا بدّ لها من ان تكون قوية معززة . فاذا تطاول القوي

وتمادى في تغلبه على سيادة السلطة العمومية افضى الامر الى الفوضى والفوضى من امراض الاقوام القتالة

ان البلاد المتمدنة في عصرنا هذا تأبى سوى سيادة السلطة العمومية مع تساوي الافراد امام قوانينها . ولكن الامم الحديثة لم تتوصل الى هذا الابعد ان اجتازت الاطوار المختلفة . وفي درسها يمكننا ان نرى في اي طور فطري لم يزل الاقوام في اطراف سوريا عائشين

ان الانسان كان هدفاً دائماً لمطامع غيره من بني جلدته فان لم يكن ثمة قوة توفي ذوي الحقوق حقوقهم استسلم المرء للانتقام لذاته حسب ما تمكنه قوته وحالته

ففي الطور الاول من تاريخ الانتقام كان لمن أصيب بالضرر الحق بان يفوّق سهام انتقامه على من اصابه بذلك الضرر او على ذوي رحمه وقرباه ان اراد . وكان يوسع كل فريق ان يستعين بذويه فتنشب الحروب وتسيل الدماء، الى ان يكون صلح بين الفريقين يُعقد بالمال والفدية . وهل اصل الحروب غير ذلك ؟ ولا يخفى ما في هذا الانتقام الشخصي من الاضرار وقد لا تحصى

(فاولاً) قد يكون الانتقام هائلاً لا يقف عند حد . وقد يكون احياناً اخرى اخف من الجريمة لعجز المنتقم

(وثانياً) عدم تمكن كل انسان من الانتصار لذاته فيضيع حقه احياناً اذ لا سلطة تذود عنه

(ثالثاً) قد يصيب الانتقام شخصاً بريئاً من ذوي قربى المجرم وهذا يأباه العدل والضمير

وفي الطور الثاني لما رأى المتحاربون ان الامر ينتهي بهم الى دفع الغرامة اتفقوا على ادائها دون خوض الحرب . فكانت الجريمة يعادلها مبلغ من المال

وفي الطور الثالث ظهرت السلطة ببعض القوة فعينت مقدار الغرامة تعريفاً لكل جريمة وجناية واوجبت على المجرم دفعها وظلت تكتسب توسعاً في صلاحيتها حتى كان لها في الطور الرابع الحق العمومي في كل حادث يخل براحة الهيئة الاجتماعية

اما عند سكان اطراف سوريا من بدو ورحل فقد شاع الانتقام الشخصي

ويظهر انه لم يزل في اطواره الاولى بل اشدّ ضرراً فقد جاء: «١ ان اهل المقتول لهم الحق بقتل القاتل او احد اقاربه وإلحاق الضرر به بذبح مواشيه واتلاف حاصلاته ولكن دون الحق باستحلالها» فيبدو لنا ان هذا التحفظ الاخير هو اشدُّ ضررا بالمجتمع من اباحة سلبها واستحلالها. لان باتلاف مال المجرم ضرراً لاحقاً به وخسارة على المجتمع لم تسلم بها شريعة

نعم انه يجوز بل يجب طلب الدية وثمن الدم وهذا بالحقيقة تعويض عادل عن الخسارة التي تنجم عن الجرم. ولكن ما يعمله اولئك الاقوام من اتلاف مال المجرم هو منافٍ للمنفعة العمومية وللصواب والعدل والضمير

والعرب يعدُّون الانتقام ليس فقط جائزاً تدفع اليه الحاجة بل يحسبونه «من النواميس الشريفة ويقرّبونه من الفرائض الضرورية المقدسة» ٢ فهم لم يزالوا اذاً في حالة العشائر القديمة قبل ان بلغت في الغرب بفضل المدنية والتعاليم الدينية الى حالة تطمئن لها القلوب والعواطف الانسانية من تخصيص العقاب مثلاً بالمجرم وتهذيبه في زمن انزال العقاب به. وعدم الحكم عليه الا بما ينصّ عليه القانون استدراكاً الخ. الخ.

وعند قبائل البدو رُبّما هُدر دم الاجنبي. ولا عجب فذلك طبيعي في مجتمع لا سلطة عمومية فيه بل يسود فيه الانتقام الشخصي. والغريب الاجنبي ليس له من احد يطالب بدمه

(ثانياً القاضي) ان القاضي عندهم يتوصل الى منصّة الحكم والقضاء بذات الطريقة التي كان يتوصل بها القضاة عند القبائل القديمة. فالحقوق عندهم محتكرة في قوم يتوارثونها. وقد جاء في المشرق في تعريف قاضي العرب «انه امير من امرائهم يُعرف بتوقد ذهنه وسرعة خاطره والقاضي يرث الحكم بعد ابيه»

وهذه كانت الحال عند الاقوام الاقدمين فقد كان القاضي عند الرومان كبير عشيرته وقائدها يوم الوغى ورئيسها الديني. ومثلهم قضاة بني اسرائيل. وانه لكذلك عند العرب فهو الامير السائر في طليعة الخيل يوم تدقّ طبول الغزو. وهو الرئيس

(١) المشرق المسيحي سنة ١٩٠١ ص ٥٨٧
(٢) راجع المشرق ج ٢ ص ١٠٠

الديني ولا غرو فان الاعراب يعدُّونه كذلك وهم « يعتبرون بيته مقدساً » . (المشرق ١٧ : ٥٨٦)

وربما انهم يعتقدون ان علمه بالغ الكمال لكونه الرئيس الديني ولانه حسب اعتقادهم متصف بقدرة عجيبة يُستدلّ على ذلك من قولهم عند طلب الحكم : « ما قول القاضي في شي مبين عليه وعليَّ غبي » وهذا فانهم لا يراعون في المحاكمة بل هي طريقة التحكيم بنوع ما . تلك الطريقة التي كانت شائعة عند الاقدمين وخصوصاً الرومان والتا يجب عليهم ان يخضعوا لها لانهم كما اشرنا قد يعتبرون قول القاضي كفصل الخطاب

ويسود في طلب الحكم عندهم التقيُّد بعبارات مخصوصة والسير في طرق كرَّستها الايام وهذا ما يدعونه : le formalisme . وذلك شأن كل الاقوام الذين لم يدركوا من الحقوق معناها الواسع

والقاضي كما جاء في المشرق راتب محدود لكل دعوى يحكم بها . وهذا الراتب هو ما يتقاضاه ظاهراً على ما اظنّ . وهذه العادة بتقاضي مبلغ عن كل دعوى قد كانت عند القبائل القديمة واستمرَّت حتى الاجيال الوسطى فكان الملك يتقاضى بصفته القاضي الاكبر مبلغاً عن كل دعوى هو ما يدعونه : le fredum

(ثالثاً الشهود) . اما الشهود فجدير بنا ان نقول دون ادنى تردّد ان الشهادة وتأديتها هي عند تلك الاقوام في الحالة النظرية حقّ . والشهادة عندهم ولا ريب هي لإثبات كل دعوى مدنية او جزائية مهما باتت . ولا عجب فلا يمكن في مثل مجتمعهم الّا الاعتماد عليها

ولكن لما كانت تلك الطريقة في الاثبات منعمة بالخلل من ايجاد شهود كذبة عمدوا الى تحليف الشهود . ولكن قد يكون في الحلف ايضاً اخفاء للحقيقة فلم يروا افضل من استعمال الامتحانات(١) كلمع الحديد المحمي وغيرها وهي ما يقال لها : ordalies

فلا اخال لذا كما جاء في المشرق ان شهادة الزور داخلة على العرب من عهد قريب اذ لو كان ذلك حقاً لما عمدوا الى استعمال الامتحانات . ولا اخال كذلك ان

(١) المشرق ١٧ : ٥٨٧

القسم والحلف هو عندهم • من ارهب الامور واقدسها • بل اني لأحسب الواحد من اولئك البدو يحلف بالله مرارًا كل يوم ولأسباب قد لا تكون داعية . وعليه قد اضحت الامتحانات كبلع النار وشرب السم • في نظر البدوي اكبر شهادة حق المتبعة بالقسم •

فترى اذًا ان استعمال الشهود وما ينجم عنه من شهادة الزور افضى الى استعمال بلع النار وامتحانات أُخرى . فعلّق عليه البدو الاهمية وخالوه اكبر مظهر للحقيقة

اما استعمال هذه الامتحانات فقد شاع عند الشعوب البربرية خصوصاً عند قبائل الجرمان وظلّوا بعد اكتساحهم الامبراطورية الرومانية يعمدون اليها غالباً وقد تسرّب بعضها الى الاجيال الوسطى فقامت الكنيسة الكاثوليكية بتعاليمها المهذّبة الآئلة للتمدن تعمل لاستئصالها والتاريخ شاهد على انها تمكنت من ذلك . والنور لا غرو يبدّد الظلام

٤ رابعاً السرقة: ان اول ما يستلفت النظر في امر السرقة عند البدو هو الايجاب على السارق بدفع المسروق مربعاً (١ . ومن الغريب ان نرى هذه القاعدة بدفع المسروق مربعاً لم تزل سائدة في اطراف الشرق ولعلّها من بقايا الشريعة الرومانية التي جُمعت في بيزنطية على عهد يوستينيانوس وعُمل بها دهرًا في مملكة الشرق الرومية ذلك لان الشرع الروماني في آخر اطوار تكوّنه (٢ اوجب دفع المسروق مربعاً (٣

واني لاجتزئ بما ذكرت من امر العقوبة عندهم واراني بعد هذا في غنى عن ان اردّد ايضاً ان الحقوق عندهم والعقوبة على الاخص لم تزل في الحالة الفطرية لا شبه ولا قياس بينها وبين ما توصّل الى وضعه الانسان المتمدّن . وما عوائدهم في حياتهم الاجتماعية والدينية الّا من بقايا الاعصار القديمة ايضاً . فعندهم تتكاتف افراد العشيرة على الغزو بينما قد توصل الانسان المتمدن في عصرنا الى معنى التكاتف على الخير ليس

(١ Rev. Orient Chrét, 1901, p. 539

(٢ Dans l'Edit du Préteur

(٣ وفي السرقة عندهم قاعدة تشذ عما اجمعت عليه قوانين الجزاء الحديثة فانه عند البدو اذا قتل صاحب الخيمة السارق الذي دخل خيمته ليلاً يلتزم صاحب الخيمة بدفع الدية . مع ان قانون الجزاء العثماني مادة ١٨٧ والقانون الافرنسي مادة ٣٢٩ تهدر دم السارق ليلاً

في الامة والشعب فقط بل ينفي نطاقاً اوسع . وما تحكيهم بتذهب على ما يقال عن حب التعبد بقدر ما هو من قبيل العادة فقد جاء عن احد مشايخ بني صخر (١) انه كان صائماً رمضان فاصابة حادث كسرت به يده . فندم على صيامه ولم يعد منذ ذلك الحين يقوم بواجب الصيام

وما اشبه هذا بما كان من اعتقادات الاقدمين الدينية فقد اخبر الشاعر اوريبيد اليوناني وهو من اهل القرن الخامس قبل المسيح ان اليونان الاقدمين عندما كان يصيبهم فشل في حرب كانوا يعودون على آلهتهم باللوم والتعنيف على سوء قيامهم بما يترتب عليهم من الذود عن الحمى . وقد كان يبلغ بهم ذلك احياناً الى نقض الهياكل او رميها بالحجارة حنقاً

اذا قلنا بعد هذا ان الاجيال العديدة تفصل بين التمدن الحديث وبين ما هي عليه حالة بعض الاقوام في اطراف سوريا فلا ينتج من قولنا انه علينا ان ننتظر عمل الاجيال فيهم وقتاً لتبلغ الى حيث ما نصبو من الرقي . بل بوسعنا ان نتمم التمدن بوقت اقصر وذلك مع مساعدة حكومة راقية قديرة لان من اسباب تأخرها في العهد المنصرم ما كان من تأخر وانحطاط الحكومة الماضية . ولن تلبث تلك الاقوام ولا ريب بعد ان يستتب الامر للحكومة الراقية فيستتب بذلك الأمن والراحة . لن تلبث ان تسير في سبيل التقدم وبذات الفعل تتحول وتتحوّر عوائدها وشرائعها وتنتظم وتتكمل مع تقادم الزمن ولا غرو

اجل لا يمكن ان يكون لشعب نظام الأحسب اخلاقه وطباعه وقد سأل احدهم سولون المشرع اليوناني عما اذا كان يحسب انه سنّ لاثينا اصلح الشرائع وأعدلها . فاجابه سولون لا بل اني اخال ان الشرائع التي وضعتها هي الاكثر موافقة ومناسبة الان . وقد قال هيرودوت المؤرخ ان سولون كان يتمنى ان تثبت شرائعه عشر سنوات على الاقل بدون تغيير . ذلك لانه كان يرى ان التقلب والتطور هما من طبيعة المجتمع البشري واول ما يبدو تأثير ذلك التطور يكون في النظامات والقوانين

(١) Orient Chrét 1901, p. 603

فاذا كانت الحقوق عند قبائل سوريا الداخلية لم تزل في طور نشوئها فلا بد من ان تسير الى البلوغ بعد ان ذرَّ قرن هذا العصر الجديد . ولذا قيل ان ما عندهم من الشرائع المتوارثة هو طبقاً لاحتياجاتهم فيجب ان نعلم ان الشريعة البشرية ليست فقط لراحة ولسداد المجتمع الحاضر بل هي الطرائق المؤدية والمؤهلة للبلوغ الى كمال الاعمال البشريَّة . وانما قد يُعاب على تلك الاقوام ليس اتباعها الآن تلك الشرائع والعوائد الفطرية . بل وقوفها جامدة في اثناء الاجيال . بل وقوفنا نحن ايضاً ونحن في بلاد هي مهد المدنيَّة الشرقيَّة القديمة ومنبت علماء الحقوق وصلة التعارف بين الشرق والغرب

فالأمل كبير في المستقبل . كبير بمساعدة الدولة الكريمة التي اخذت على عهدتها تمدين هذا القطر . فيكون يوم يعمُّ به التقدُّم سوريا كلَّها فلا يعود فيها قبائل تمثل حياة الانسان في اجياله الاولى . وعلينا نحن من جهة ثانية ان ننهض بذواتنا فنختبر كل شيء قبل ان نندفع في اتباعه فلا يكون في حياتنا وعوائدنا ومجتمعنا كلّه الأ كلّ ما هو صالح وبذلك تتشأ لنا الشرائع الصالحة . ولا يكون ذلك الأ اذا كنا نريد

اعظم طامّة في الحرب العامّة

نظر اجمالي في الحرب الاوربية للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني : الدول الاتفاقية (تابع)

٤ سربية

معلوم انَّ سربية احدى الدول البلقانيَّة تجاور النمسة شمالاً وغرباً وتركيَّة جنوباً وشرقاً . فكان موقعها بين دولتين معاديتين يعرّضها لأعظم الاخطار وهي دولة صغيرة لا يكاد عدد اهلها يتجاوز مليونين ونصف مليون من النفوس . منهم نحو ٦٠،٠٠٠ في عاصمتها بلغراد ومساحتها اقلّ من ٥٠،٠٠٠ كيلومتر

منذ نالت سربية الاستقلال سنة ١٨٢٩ اصبحت مرسحاً للمنازعات الاهلية بين الاسرتين الملكيتين ابرانوفتش وقره جيورجيفتش . وملكها الحالي بطرس الاول من هذه الاسرة الاخيرة تولى الملك في السنة ١٩٠٣ . ثم ان اهل سربية من العنصر الصقلبي فكان ذلك مدعاة لاغراض الدول فيها فان روسية من جهة تعتبر نفسها كوصيتها الطبيعية لوحدة الجنس فتقوم في وجه كل من يعاديها . ومن جانب آخر تنظر اليها النمسة شزرا لخوفها من تقرب رعاياها الصقالبة اليها وصدهم يفوق على تفشي العنصر الجرماني فيها . فرفضها هذا الحرج كان كالبركان المنتظر انفجاره آجلا او عاجلا

جاء الارشيدوق فرنسوا فرديناند مع قرينته في اواخر حزيران ١٩١٤ الى سراجيفو عاصمة البشناق النمسوية ليخمد ما ظهر بين اهلها من الشغب رغماً عما انذروه من الخطر على حياته فلم يكترث لهذا التنبيه . فذهب ضحية تهوره فقتل مع الملكة بيد احد الطلبة المدعو غرافلو برنتشيب في ٢٨ حزيران . فرأت النمسة في هذا الفعل الاثيم مؤامرة عقدتها سربية لتحريك الفتن في مملكتها . وفي ٢٦ تموز ارسلت الى الصرب بلاغاً نهائياً تعرض عليها عدة شروط قاسية منذرة بالحرب ان لم ترض بها قبل ٤٨ ساعة . ورضيت سربية بها اجابة لمشورة روسية وفرنسة وانكلترة الا شرطين يمسان شرفها طلبت عرضهما على مجلس تحكيمي فكادت ترضى بذلك النمسة لولا المانية التي وجدت في هذا الحادث فرصة مناسبة لحرب كانت تضمره منذ عدة سنين فدفعت النمسة على رد طلب سربية واعلان الحرب عليها في ٢٨ من الشهر فكان ما سبق لنا وصفه من نشوب الحرب بين الدول كسلسلة متراصلة تجر كل حلقة اختها

ظن النمسويون انهم سيهددون سربية بوقعة واحدة فزحفوا اليها بعسكر جرار لا يقل عن ٢٠٠٠٠٠ مسرعين الى عاصمتها بلغراد لا يشكون بظفر قريب . لكن الامر لم يوافق حسابهم فان الصرب حشدوا جنودهم واتخذت اليهم قوى جبل الاسود فقدموا قسماً من عسكرهم ليوقف الزاحفين في طريقهم وحصنوا بلغراد واستعدوا للقتال . وقد تمكنت مقدمتهم من ايقاف النمسويين اياماً الى ان حشد الجنود الصربية الذين اسرعوا الى مساعدة اخوتهم فقطعوا في ثلثة ايام

مسافة ١٥٠ كيلومترًا تحت قيادة اسكندر وليّ العهد والجنرال پوتنيك فهجموا على الجيوش النمسوية وحاربوهم مدّة ايّام بلا انقطاع حتى بدّدوا شملهم في جبل تسار وانتهت هذه المعارك بانتصار الصرب الباهر مع تفوّق النمسويين بالعدد والعُدد

ثمّ عاد النمسويون بقوّات جديدة وحاولوا قطع نهر الساف شمالًا في الشهر الاوّل من ايلول ١٩١٤ فردّهم الصرب خاسرين كما ردّوهم غربًا من جهة نهر درينا بل دخلوا الاراضي النمسوية وتقدّموا ظافرين الى جهات سارايفو . لكنّ العدوّ خجل من خيبة فعبّأ الجيوش العديدة من جهة الجنوب وحمل الحملات المتوالية الى ان قطع نهر درينا واندفعت جنوده اندفاع السيل عند خراب سدوده فتقهقر الصرب وانفتحت امام النمسويين طريق بلغراد فتقدّموا الى الأمام مستبشرين بالظفر وتحقيق آمالهم بالوصول الى سالونيك الّا انّ الصرب عادوا وناوشوا القتال مرارًا عدوّهم اذ اتتهم الذخائر الحربية من فرنسة وجدّدوا تنظيم عساكرهم فهجموا على النمسويين من علوّ جبالهم فكسروهم كسرة شنيعة عند جبل رودنيك واسروا نيفًا و ٦٠٠٠٠ من العدوّ فقضى العالم من بأسهم العجب ولاسيّما من اسكندر وليّ العهد والجنرال پوتنيك قائدهم . وهكذا انتهى الدور الاوّل من هذه الحرب التي كان يدعوها النمسويون « حرب الجزاء والعقاب » فكانت الدولة عليهم

لكنّ للقوى البشرية حدودًا لا تستطيع ان تتجاوزها فانّ النمسويين لم يشاؤوا بازاء العالم ان يُنسب اليهم الفشل فانتدبوا لاسعافهم المرشال ماكنزن مع فيالق من الجند الالماني . وكانت بلغارية دخلت في الحرب بجانب الدول المركزية فطلبوا ايضًا اسعاف جيوشها فحاربوا كلهم دولة الصرب في وقت واحد شمالًا وجنوبًا فظفروا بها بعد المعارك الدامية ودخلوا بلغراد ونيش واوسكوب ثمّ مناستير واضطرّوا الجيوش الصربية الى التقهقر دون ان يقووا على اسرهم . فسار الصربيون الى البانية واحتموا فيها مع ملكهم . تمّ ذلك في شهر تشرين الاوّل ١٩١٥

الّا انّ الدول المؤتلفة لم ترضَ بان يُسحق حلفاؤها بضغط اعدائهم فارسلت فرنسة اوّلًا الجنرال سرّاي مع جيش من اهلها الى جهات البانية لنجدة الصرب واذ رأت انّ ذلك لا يكفي لكسر شوكة العدوّ البالغ نصف مليون عددًا اتّفقت مع انكلترة على بعثة الى سالونيك لقطع الطريق امامهم الى البحر ولردّ غاراتهم

لوغهم الى تركية فوصلت جنودهم الى سالونيك في اواخر تشرين الاول لكن
الالمان والنمسويين والبلغار كانت بلغت غايتها فاستولوا على السكك الحديدية
رالهم ممرًا بين المانية وتركية . فتفاءلت الدول المركزية بالانتصار النهائي
لم يقطع السرب املهم بعد فقدان وطنهم لكنهم اخذوا يستعدون لوقائع
ة في السنة ١٩١٦ . فلما كان شهر آب مشى البلغار لمحاربة الفرنسويين
نكليز وفتح سالونيك . فجرت وقتئذ معارك تقشعر لذكرها الفرائص ودامت
لثة اشهر دون انقطاع وكان السرب يحاربون مع الفرنسويين والانكليز ببسالة
مستقتلين فتكلل ثباتهم بالنجاح وردوا البلغار خاسرين واقتحموا من يدهم
ير في ١٩ ت ٢ سنة ١٩١٦

وبقيت الحال على ذلك مدة سنتين ومعظم سربية في قبضة العدو . اما جنودها
قسم منهم الى جزيرة كورفو وقسم آخر الى بيزرت في بلاد تونس وهناك بعد
ندوا نصيباً من الراحة استأنفوا التدرب على الآداب الحربية تحت نظارة ضباط
يين ثم عادوا بعد اشهر الى سالونيك يترصدون العدو ويناوشونه القتال
عد حين مع حلفائهم . وذلك الى اواسط تموز سنة ١٩١٨ حيث تعين الجنرال
دسبيري كقائد عام على جيوش البلقان فاتفقت العساكر السربية مع
ويين على مواقع البلغار انقضاض العقاب على فريسته في ١٥ ايلول فخرقوا
هم الاولى ثم تبعوهم الى جبالهم المحصنة قرباً بينما كانت الجنود الانكليزية
م شرقاً . وقد امتازت خيل السرب في هذه الحملات . فالجأوا البلغار الى الفرار
نجوم نجدات الالمان المرسلة اليهم . وما انتهى شهر ايلول حتى دخل المؤتلفون
بكوب وأيس البلغار من النجاة فطلبوا الامان ورضخوا للشروط القاضية عليهم
ربية لاهلها . فعاد السرب مع ملكهم الى وطنهم ظافرين غانمين وقد اتسعت
تخومهم واكسبتهم الحرب ما لم يحلموا به سابقاً

٥ الجبل الاسود

نبع الجبل الاسود ومملكة نيقولا جيرانهم السرب في حربهم العوان وهم اخوة
بث اصلهم الدقلي وشاطروهم فخرهم في انتصاراتهم على النمسويين في

الاشهر الاولى للحرب مع قلة عددهم وعُددهم . لكنهم ذاقوا ايضاً معهم مرائر الكسرة واحتلال بلادهم لما تحاملت الدول المركزية متكاتفة على سربية . فالتجأ الجبليون الى اعالي بلادهم وقاوموا العدو مدة حتى احتل جبلهم لوفسان في ١٢ك ٢ ١٩١٦ فلم يبق لهم امل بالخلاص وصارت البلاد في حوزة المركزيين لكن الجنود الجبلية هاجرت ايضاً مع السرب ثم التأموا حول الفرنسويين والانكليز في سالونيك وشاركوهم في خططهم الدفاعية والهجومية الى اوان الظفر الاخير . وكان ملكهم نيقولا قد رحل الى فرنسة ليسعى في امور دولته لدى اركان الحرب العمومية حتى الانتصار محققاً لامانيه

٦ رومانية

هي احدى الدول البلقانية موقعها بين ترنسلفانية المجرية غرباً وروسية شرقاً وبلغارية جنوباً والبحر الاسود شرقاً الى الجنوب عاصمتها بخارست (بقرش) عدد اهلها نحو ٦٠٣٠٠،٠٠٠ وهم من عنصر لاتيني لغتهم لاتينية عامية يملك عليهم فرديناند الاول سمي ملك بلغارية . وهم يدينون غالباً بالدين الرومي الاورثذكسي وبينهم عدد من الكاثوليك (راجع المشرق ٢ [١٨٩٩] : ٧٧ و ٢٢٩)

كانت رومانية في الحرب البلقانية لعبت دوراً سياسياً انتفعت منه دون خسارة كبيرة اذ أخمدت مطامع بلغارية ووسعت تخومها بجزء من توسطها بين جاراتها

وكذلك بقيت مدة الحرب الاخيرة في الحياد تراعي الاحوال . وفي بلادها حزبان حزب يميل الى المانية والدول المركزية وحزب يفضل دول الاتفاق طمعاً ببلاد ترنسلفانية ليضموها الى رومانية

سعت الدول المركزية بجذب رومانية الى طرفها حتى بالتهديد اذ حشدت جنودها على حدود الرومان فتخوفوا عاقبة الامر وما كان منهم الا ان جنحوا الى روسية ودخلوا الحرب في جانب الائتلافيين لاسيما اذ رأى رئيس الحكومة السيد جان براتيانو ان الائتلافيين ارسلوا الى مقدونية حملة تصد البلغار عن محاربة رومانية جنوباً . وكان إعلانهم الحرب على الدول المركزية في ٢٧ آب ١٩١٦ باغراء المسيو بريان رئيس الندوة الفرنسوية الذي عقد مع رومانية عهداً يضمن لها ملك ترنسلفانية

ومن ساعتها نهضت رومانية نهضة الاسد وبعثت جنودها في عدد ٩٥٠٠٠٠ الى ترنسلفانية ومعظم اهلها من العنصر الروماني فدخلوا اليها من جهتين على مسافة ٦٠٠ كيلومتر طولاً و٢٠٠ عرضاً

وكان الرومان يشكّون في صيانة تخومهم الشرقية والشرقية الجنوبية على الجيوش الروسية فخاب املهم فيها فان الالمان تحت قيادة ماكنزن وفلكنهين مع النمسويين والبلغار تحاملوا بسرعة على تلك الجهات وما لبثوا ان اجتازوا الى وسط البلاد واستولوا على اقليم دوبروجا وقطعوا الدانوب وفتحوا عاصمة الرومان بخارست في ٦ ك ١

فكانت هذه الفتوحات احوجت الرومان الى سحب جنودهم من ترنسلفانية فوقفت جيوش الدول المركزية امامهم واجتهدوا في ان يحدقوا بهم ويأخذوا بخناقهم لكنّ الرومان فجاهدوا احسن جهاد ونجوا من ذلك الخطر لكنهم كانوا في احرج موقف فاضطرّوا الى التقهقر بنظام وبقيت بلاد مولداقية في حوزتهم بمساعدة الجنرال برتلو الفرنسوي الى آب من السنة ١٩١٧ حيث عاد الالمان والنمسويون بكل قواهم فدحروهم منها. وكان اكبر سبب في [illegible] الرومان خيانة رئيس الحكومة الروسية شتورمر الذي كان يتوقع كسرتهم ليتخذها سبباً لمعاهدة منفردة للصلح

والقا رغائب رومانية في ملك ترنسلفانية لم تذهب سدى بعد نهاية الحرب فاتسعت كما شاءت

٧ اليونان

انّ الملك قسطنطين لكونه صهرا قيصر المانية وميله الى الدول المركزية لم يشأ ان يخوض عباب الحرب مخالفاً بذلك رغبة معظم اهل بلاده ولاسيما رئيس حكومته فنيزيلوس. بل لم يبقَ على الحياد لانهُ أُبعد المسيو فنيزيلوس واخذ يعرقل سير اعمال دول الائتلاف ... ويجزّ ولما دخل البلغار في الحرب وساروا الى جهات سالونيك رحّب بهم وسلمهم بعض الحصون. فحكم عليه الفرنسويون والانكليز بدفع شيء من اسلحة دولته وذخائرها وطلبوا تعويضاً عمّا اعطاهُ للبلغار فتشط قوماً من رعاياه على الثارة فتنة قتل فيها بعض البحارة الفرنسويين في غرة كانون الاول

١٩١٦ فكان ذلك دفع الدول الائتلافية الى حصار تخوم اليونان اولاً ثم الى إكراه الملك الى الاستعفاء من الملك وذلك في ١٢ حزيران ١٩١٧ فأقيم ابنه الثاني اسكندر على العرش

فتغيرت وقتئذٍ احوال اليونان وأُعيد فنزيلوس الى تدبير الامور وانقلبت هيئة الحكومة وبعد ايام اعلن اليونان الحرب على بلغارية والدول المركزية ثم سارت جنودهم الى محاربة البلغار فردوا غاراتهم عند نهر فاردار واحتلوا ولاية يانيا التركية ثم انضمت الجنود اليونانية الى جيوش الائتلاف في معارك مقدونية الاخيرة ضد البلغار والنمسويين فخرجوا من هذه الحرب التي نالوا منها المنافع الجمّة باحتلال كريت وعدة جزائر في ارخبيل اليونان ولاسيما مدينة ازمير العظمى

٨ بلجكة

كانت بلجكة مطمئنة قبل الحرب لا ترى انّ الدول المتعادية تنتهك حماها وكلها قد اتفقت في معاهدات سابقة على صيانة حدودها ووقعت عليها . وقد سبق لنا في كلامنا عن المانية كيف انها حنثت بأيمانها وتعدت الحقوق الدولية فكان بوسع بلجكة بازاء هذا الجبار القاهر ان تحني رأسها وتكتفي لتصون شرفها بان تحتج على المتعدي كما فعلت لوكسمبورج لكنّ نفسها الابية لم ترضَ بالضيم وفضّل ملكها البطل ألبار ان يخاطر بدولته في الخروج الى سطوة الالمان . فمجد العالم هذه النخوة وعظّم هذه المروءة وتنسّم السماء عنه التضحية برائحة الرضى ليزيد تلك الدولة الصغيرة عزاً وفخراً

كان دخول الالمان في تخوم بلجكة كإعصار عاصف او كتيار جارف يريدون ان يذعر العالم ببطشهم فيبلغ الكل ذعراً من صولتهم لاسيّما بعد ما وجدوا من المقاومة في سبيلهم اذ تصدى لهم الجنرال ليمان مع حامية القلعة في لياج وكبّدهم خسائر عديدة واسر احد قوادهم الكبار . لكنّ قوات العدوّ لم تزل تنمو وذخائرهم الحربية تزداد وتقوى حتى فتحوا لياج ودكّوا حصونها بمدافعهم الضخمة وقذائفهم الجهنمية فاضطر الجيش البلجكي ان ينجو بنفسه من جورهم . اما نامور فصبرت شهوراً بثبات على كل قوات العدوّ حتى تفتت كل حصونها فدخلها الالمان في ٩ ت ٢

فكان دفاع البلجكيين مدة اسبوعين خلاصاً لفرنسة اذ سمح لقوّادها ان يحشدوا قواهم وينظّموا جيوشهم ويستعدّوا للقيام في وجه الالمان. لكن شهامتهم اثارت عليهم غضب اعدائهم فاستولوا على مدن بلجكة ولم يرعوا لاهلها ذماماً فضربوا ونهبوا وقتلوا مدّعين انّ ذلك اقرب الوسائل لنهاية الحرب بسرعة. ودونك ما كتبه وقتئذٍ غليوم الثاني لحليفه الامبراطور فرنسوا جوزيف: «انّ نفسي لتتمزق من الاسف. ولكن لا مناص من اضرام كلّ شيء بالنار وسفك دماء الكل رجالاً كانوا او نساء صغاراً او شيوخاً. يجب قطع كلّ شجرة وتدمير كلّ دار. فبهذه الوسائل الفظيعة تنتهي الحرب قبل شهرين». فاعجب بهذا الكلام صلفاً بل جنوناً. وعليه سار الالمان في بلجكة اذ قتلوا الوفاً من اهلها الابرياء وخربوا مدنها المفتوحة وألحقوا بالدقعاء قراها ومعاملها. بل احرقوا مكتبتها الشهيرة في لوفان وصوّبوا مدافعهم على كنائسها الكاتدرائية وضربوا على بروكسل عاصمتها ضرائب بلغت مئتي مليون من الفرنكات

فكان لهذه الاعمال الهمجية اسوأ وقع في نفوس العالم المتمدّن عموماً وفي البلجكيين خصوصاً حتى حوّلوا قلوبهم الآلفة سابقاً نحو الالمان الى بغض مؤبّد. ولمّا قرّر بعد ذلك حكام بلجكة الالمانيون كفون دير غولتس وفون بيسنغ ان يتألفوا قلوبهم ويحشدوا على زعمهم بروحهم بضروب المجاملة والتملقات لم يلقوا منهم الا اباء ونفوراً وتضافر البلجكيون على نشر صحيفة يومية سرّاً تحت اسم بلجكة الحرّة. كانوا يوزعونها على الاهلين ويبلغونها الى الحكام الالمان انفسهم يفضحون فيها كلّ اعمال العدوّ ويعلنون لاوربّة مكايدهم دون ان يقوى الالمان ان يكتشفوا ناشريها. واذ سعى حكامهم ان يستروا ظلمهم فدعوا علماء بلجكة ليعطوا دروسهم ويفتحوا مكاتبهم لم ينخدعوا بمداهنتهم وبقوا في حدادهم ينظرون نهاية الحرب

وممن تحزّبوا متحمسين لحرّية وطنهم ذلك رئيس الاساقفة الباسل شرف الدين والعلم والوطن الكردينال مرسيه الذي دافع عن حقوق رعاياه دون ان تعمل فيه تهديدات عمال الالمان الذي استنفدوا الوسع ليكسبوا رضاه فلم ينطلِ عليه لا الوعد والوعيد. وقد وقفنا على مناشيره وكتاباته ابّان الحرب فذكّرتنا بشهامة اساقفة

الاعصار الخالية الذين لم يهابوا قوة بشرية بل بذلوا النفس والنفيس في جانب الحق

اما الجيوش البلجكية فبعد خروجها من لياج توجهت بنظام الى جهات فلندرة واجتمعت بالجيوش الفرنسوية والانكليزية لسد الطريق في وجه الالمان . وفي ٢١ آب ١٩١٤ حصلت موقعة شرلروا من اعظم المعارك التاريخية اذ تولت لاول مرة في حومة القتال الالمانية مع الدول المؤتلفة فقامت حول شرلروا حرب ضروس حارب فيها نحو مليون من الجند فوقعت شرلروا خمس دفعات في ايدي الالمان واسترجعها الائتلافيون الى ان تراكم عليهم الالمان وحملوا عليها الحملات العنيفة وكانت مدافعهم تزيد اربعة اضعاف على مدافع الفرنسويين والانكليز فكان الفوز النهائي لهم . وأصيب البلجكيون بهذه الواقعة بخسائر فادحة لكنهم لم يقنطوا وزادوا تحمساً وتقربوا غرباً الى جهة نهري ايزر وليز . ولما سقطت انفرس في ايدي الالمان تمكنت جنودها من الفرار ولحقوا باخوتهم منتظرين ما ستؤول اليه الاحوال في جوار باريس

وعندما فاز الفرنسويون بذلك الانتصار الباهر عند نهر المارن وقهروا الالمان في اواخر ايلول انسحب هؤلاء . ووجهوا قواهم الى جهات كاليه ليضبطوا سواحل البحر وليستبشروا بالفوز القريب عند نهر ايزر لكنهم أصيبوا هناك بضربة ثانية في اواسط تشرين الثاني . فكانت ضغثاً على إبالة وقد بلغ عدد الصرعى من الالمان مائة الف . وكان للبلجكيين في هذه الواقعة نصيب من الفخر عزاهم نوعاً عن بلاياهم السابقة وبقيت مدينة ايبر في يدهم خلافاً لما يشعر به غليوم عن فتحها العاجل

وبعد هذا الفوز العظيم تحصن البلجكيون في مواقعهم وعارضوا الالمان في حفر الخنادق . واذ قدمت حكومة فرنسة للملك البار احدى حواضرها ليسكن فيها مع حاشيته ابى الا البقاء مع جنوده فكان مثله منعشاً لهمم جميع رعاياه . وكان الشبان البلجكيون رغماً عن ضبط الثغور وسد الطرقات والتهديد بالقتل يحتالون على الخروج من وطنهم ليلحقوا بملكهم ويحاربوا معه . فخرج الالوف منهم غير مبالين بالاخطار وانضموا بنخوة عجيبة الى مواطنيهم ليحاربوا في سبيل الوطن

بارك الله عزمهم وثباتهم في خريف سنة ١٩١٨ . فان الجيوش البلجكية سارت في العشر الاخير من ايلول لمحاربة الالمان مع الفرنسويين والاميركيين وبادءوهم القتال ببسالة غريبة فقطعوا خطوطهم التي زعموا انها لا تقطع ولم يزالوا

يثأرون اعقابهم يوماً بعد يوم فتهكوا فيهم واجتثّوا دابرهم . وما مرّ عليهم بضعة ايام حتى طهرت بلجكة من العدو ودخل الملك البار ظافراً مكللاً بالمجد الى كرسي ملكه والفرح آخذٌ في صدور رعاياه كل مأخذ

مطبوعات شرقية جديدة

Abu'l-Mahâsin Ibn Taghrî Birdî's Annals: An-Nujûm az-Zâhira fî Mulûk Misr wal-Kâhira, Edited by **William Popper.** Published by the University of California Press, *Berkeley, Vol 17 part 1, Nos 2 and 3, pp. 165-176*

تكملة كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابي المحاسن بن تغري بردي

مرّ لنا الكلام في وصف الاجزاء السابقة من هذا التأليف الجليل الذي وضعه احد كبار المؤرخين المسلمين ابو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤هـ (١٤٦٩م) فطبع منه جزءان في ليدن اولاً ثم حاول تتمة طبعه المستشرق الاميركي وليم بوبر وها هنا جزئين اخرين طُبعا في اثناء الحرب وبعدها يتناولان اخبار دول المماليك في مصر من السنة الهجرية ٨٠٨ الى ٨٢٣ . والمؤلف هناك يتسع في رواية حوادث زمانه فيأتي بالمعلومات الشرقية على احسن طريقة بذكر اعمال كل سلطان اولاً ثم بتفصيل ما جرى في كل سنة من سني ملكه . ولا تنقص هذه الطبعة عن اخوتها في شيء من حسن الورق والعناية بضبط النصوص والتذييل بروايات النسخ المختلفة . فنتمنى قريباً ان شاء الله مواصلة العمل واتجازه مع اضافة الفهارس والملحوظات عليه

ل . ش

LA REVUE UNIVERSELLE, Paris, 157, Boulevard St - Germain (6e) No 1, Avril, 1920, pp. 128

المجلة العمومية

هي مجلة جديدة يتولى ادارتها الكاتب الاجتماعي جاك بنفيل (J. Bainville) والادباء الشهيرون هنري ماسي (H. Massis) ولاون دوده (L. Daudet) ولويس دمييه (L. Dimier) وغيرهم ولم يثنِ عزمهم عن مباشرتها لا وفرة المجلات

الادبية في فرنسة ولا الموانع الحالية لنشر المطبوعات ٠ وغايتهم في نشرها جمع القوى الادبية وضم كلمة اصحاب النظام لمقاومة تيار الجهل والمكر والخداع وقت عقد طالع القلق والفساد ٠ ولإدراك هذه الغاية عزموا على نشر المقالات الاجتماعية والفلسفية والادبية والسياسية الموافقة للاحوال الحاضرة سواء كان في فرنسة او في بلاد حلفائها فيطلع قرّاؤهم على حركة العقول في العالم كله ٠ وهذا العدد الاول يفتتحه الكردينال مرسيه بمقالة جميلة عن الشاعر دانتي ومار توما اللاهوتي يليها مقالة اجتماعية في النظام الدولي لشرل موراس (C. Maurras) ومقالات اخرى نخص منها بالذكر مقالة في الخلال تركية وفي الثورة البولشفية الخ   الاب ج. لوقتك

I. **René Pinon** : *La Suppression des Arméniens*, *6e éd*. *Paris*, 1916, *in*-12, *pp*. 76 = II. **H. Ad. Gibbons** : Les Derniers Massacres d'Arménie, *Paris*, 1915, *in*-12 *pp*. 47 = III. **Vte Bryce** : Le Traitement des Arméniens dans l'Empire Ottoman (1915-1916), *Laval*, *in*-12, *pp*. 333 = IV. **Varandian** : L'Arménie et la Question Arménienne, *Laval*, *in*-12, *pp*. 115 = V. La Question Arménienne devant la Conférence de la Paix, *in*-4, *pp*. 25 *et trois Cartes* = IV. **K. J. Basmadjian** : La Cilicie, son Passé et son avenir, *Paris*, *in*-12, *pp*. 47.

ارمينية وقيليقية وما يتوط بها

في باريس جمعية من الارمن وانصارهم سعوا في ايام الحرب وبعدها في إلفات نظر اوربة عموماً وفرنسا وانكلترة خصوصاً الى ما حلّ بأُمتهم التاعسة منذ اوّل الحرب الى اليوم ٠ وبعث الرأي العام قد وضعوا مؤلّفات عديدة من جملتها التآليف المدونة هنا وفيها التفاصيل المؤلمة عن الفظائع التي اقترفها الاتراك ليستأصلوا الشعب الارمني حتى قُتل منهم فوق المليون قتلاً يسوّد الى الابد وجه الدولة العثمانية ٠ وفي هذه التآليف ايضاً عرض الارمن امورهم على الدول الظافرة ولاسيَّما على ندوة السلام ومجلس الأمم ليجعل حدٌّ لعذاباتهم فيُمنحوا استقلالاً تامّاً ويوضعوا في عُهدة احدى الدول الكبرى ٠ اما التأليف الاخير فهو للكاتب الارمني بسمجيان يذكر فيه تاريخ قيليقية في الزمن القديم وتملك ملوك الارمن عليها ثمَّ ينتقل الى ذكر احوالها حاضراً مؤمّلاً دخولها في حكمهم ٠ فعسى ان يفوز الارمن بما يؤملونه من الامن والصلاح

LE CHATIMENT DE LA TURQUIE par un **Diplomate**, *Genève*, 1919, *in-12*, *pp.* 27.

عاقبة تركية لأحد وكلاء الدول

هذه محاضرة لاحد رجال السياسة عرض فيها مسؤولية تركية وجناياتها في الحرب العمومية الاخيرة ولا سيما رؤساءها الاتحاديين انور وطلعت وجمال بعد ما نالته حكومتهم من سوابغ النعم بفضل الدول الائتلافية . ثم يختم ذلك ببيان العقاب الذي تستحقه تركية لنكرها وقوّادها لخياناتهم ل . ش

BAR HEBRAEUS BOOK OF THE DOVE, translated by **A. J. Wensinck** with an Introduction, Notes and Registers, *Leyden — E. J. Brill*, 1919, **CXXXVI**-151.

كتاب الحمامة لابن العبري

قد اثبتنا في السنة الاولى من المشرق ترجمة ابن العبري ووصفنا تآليفه العديدة في السريانية والعربية في كلّ فنّ . فمن جملة هذه المصنفات كتابه السرياني المعنون بالحمامة وضعه للنسّاك والرهبان الطالبين الكمال المسيحي . ودعاه بالحمامة مجازاً لتشبيه الى خلوة النسّاك وتهذيبهم بالسماويات . وكان وطنيّنا الفاضل القس جبرائيل القرداحي ثم حضرة الاب العازاري الكلداني بولس بيجان نشرا هذا التأليف : الاوّل بالحرف الاسطرنجيلي في رومية سنة ١٨٩٨ والثاني بالحرف الكلداني في باريس في تلك السنة فاحبّ احد المستشرقين الهولنديين ان ينقله الى الانكليزية مع ترجمة بعض فصول من كتاب آخر لابن العبري (الايتيكون) ويقابلها بما ورد في كتب المتصوفين المسلمين السابقين لعهد ابن العبري ولا سيّما الغزالي كبيرهم فبيّن بالمقابلة انّ ابن العبري استقى كثيراً من اقواله من بعض معاصريه وسابقيه المذكورين . فوجدنا في هذا الدعوى شيئاً من المبالغة فانّ التصوف الاسلاميّ سبقه عند اليونان واللاتين والسريان عدد لا يحصى من الكتبة الذين طرقوا باب التعاليم الروحية والطرائق النسكية . فان كان ابن العبري اخذ شيئاً من تصوّف المسلمين فليس ذلك الّا نزراً قليلاً . وعلى خلاف ذلك الكثير مما اخذه المتصوّفون المسلمون من تعاليم الرهبان السابقين ولعلّنا نعود الى هذا الامر عند سناح الفرصة وعلى كلّ حال نشكر مؤلف

هذا الكتاب على طرقه هذا الباب فانه من الابحاث الجديدة التي قلما انتبه اليها المستشرقون

ل . ش

النسائيات

كتاب ادبي اخلاقي اجتماعي

بقلم جرجي نقولا باز : طبعة ثانية في المطبعة العباسية (ص ٥١)

لم يجمد قلم اديبنا جرجي افندي مدة هذه السنين المشؤومة التي مرّت علينا رغماً عن وقوف مجلته الحسناء . وقد عاد بعد نهاية الحرب الى المواضيع التي تعشقها من وصف اخلاق النساء وذكر آثارهنّ والسعي باصلاح شؤونهنّ وترقية احوالهنّ . وكتاب النسائيات دليل جديد على هذه الهمّة ضمّنه عدةً مقالات نشرها في الحقيقة ثمّ جمعها طاقة كأنها زهور يحسن باجتنى اللطيف استنشاق روائحها العطرة . وبا ليته لودعها زهرةً اخرى تزيدها حسناً ان أضيفت اليها وهي زهرة الدين التي تزين المرأة فوق سواها . ومما لم نجد لهنّ اسماً في جدول المدارس الاناثية التي ذكرها (ص ٤٧) راهبات القلبين الاقدسين فان مدارسهنّ من افضل المدارس نظاماً واوفرها عدداً

مغالط الكتّاب ومناهج الصواب

بقلم الاب جرجي جنن البولسي

مطبعة القديس بولس حريصا لبنان (ص ١٣٦)

سبق صدور هذا الكتاب عهد الحرب فلم نطّلع عليه الّا مؤخّراً فنقول نعم الغاية يتوخاها محبّو لغتنا العربية ان يدوّنوا الاغلاط التي يسقط فيها الكتبة لئلا يعودوا ويعثروا فيها . وقد حرص قديماً قوم من العلماء على ذلك كالحريري في درّة الغوّاص في اوهام الخواصّ والجواليقي في التكملة فيما يلحن فيه العامّة وكالمرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي في لغة الجرائد والشيخ سعيد الشرتوني في مقالات شتّى في المقتطف . وهذا الكتاب الجديد اوسع مادةً واسهل طريقةً جرى فيه كاتبه الفاضل على طريقة حروف المعجم . فدلّ على الخطأ ثمّ على الصواب وعلّل ذلك بذكر السبب . على انّ هذه المجاميع كلها مع الكثير من صوابها ربما تجاوزت الحدود

في تنقيتها على الكتبة سبل الكتابة كما ظهر بردود الخفاجي على الحريري (راجع طبعة الاستانة) وكردود المشرق على عدة مزاعم للشيخ ابرهيم اليازجي · ومن ثمَّ لا نعدُّ استناد حضرة الاب جرجي الى الشيخ كمنفصل الخطاب وربَّما كان حكمة رأياً لغوياً ليس الّا · وعلى كلّ حال نشكر صاحب الكتاب على انتصاره لمحاسن اللغة ورغبته في خلوّها من الشوائب

ل · ش

شذرات

نكبات النصارى نعمُّ صوتنا الضعيف الى زفرات البائسين وانين الجرحى بل الى صوت دماء اخوتنا النصارى القتلى في جهات مرجعيون وعكار ونواحي صور وبلاد بشاره فضلًا عمّا سُفك منها في جهات مرعش وقيليقية · فليت شعري ما هذه الحالة والى متى تدوم هذه النوائب وكنّا ظننّا ان بدخول فرنسة في هذه البلاد ستتمتع بالامان الوافي والسلام التامّ وها قريباً من سنتين والسيف في ايدي الظالمين لا يزال ينشف دماً كأنّ حرب مجاعة الاتراك تحوّلت الى حرب البواتر والصوارم · فالى من يلتجئ المسيحي اللهيف الّا الى محاميته الطبيعيّة وامّه الثانية فرنسة المحبوبة · افيخيب يا أملنا ولنيا ما لديها من الوسائط الفاعلة لقطع دابر الظالمين والذود عن حياض المظلومين · عهدنا باسمها اذ كانت بعيدة يكفي لردّ غارات العدوّ أفيموت ابناؤها جزرًا بالسيف تحت نظرها · لا وأيم الله فاننا واثقون بعدلها وحنانها · وما حكّامنا ذوي الشهامة والبأس الآن يتقصدوا ويعمدوا الى الحزم فيبدّدوا المعادين ويجعلوهم عبرة زاجرة واحدوثة سائرة

الطاولات الدائرة اخبرنا احد الاصحاب انّ بعضاً من الشبّان ذوي الطيش والنزق اخذوا يتلهّون بتدوير الطاولات · وقد كتبنا في ذلك فصلًا في اوّل عدد المشرق لسنته الاولى (ص ٦٢ — ٦٦) ردًّا على جريدة البشائر فاثبتنا انّ ذلك ليس من الملاهي الطبيعيّة الجائز التفكّه بها وانّ الكرسي الرسولي قد حظّر على المؤمنين هذه الالعاب وهدّدهم بالحرم ان لم يرعووا · اذا ما يظهر هناك من

حركات الطاولات واجابتها على اسئلة السائلين بضربات معلومة وغير ذلك من الخوارق لا يمكن تعليلة بوسائط طبيعية وعليه لا ترى ذكراً في كتب العلماء الطبيعيين للطاولات الدائرة فلا بد اذن من نسبتها الى ارواح خبيثة تتوسل بها الى تدليل البشر . وقد اخبرنا الثقة من اهل بيروت المعتبرين انه حضر يوماً جلسة أُديرت فيها الطاولات ولما سُئل الروح الذي يحركها ما اسمه اجاب بدقات ثلث كانت اول اسم الشيطان بالفرنسوية [Démon] . والعجب ان الشيطان ربما اجاب بنكران وجوده كما روى البشير في بعض ردوده على المقتطف . ومن غريب ما روى صاحب الهلال في احد اعداد سنته السادسة والعشرين ابريل ١٩١٨ (ص ٥٨٤) حيث ذكر جلسة استحضرت فيها الارواح انها سُئلت عن جهنم فاجاب الوسيط بينها وبين الحضور : يجوز لي ان اقول بعدم وجود جهنم بعد الموت كما انها منذ زمن بعيد لم تعد موجودة في مخيلة كل انسان مفكر . فهكذا يخدع الشيطان البشر ولا غرو فانه ابو الكذب وشيخ النار يشتهي ان يسقط الجهال كالعميان بين مخاليبه بتعضياتهم كذبة على تعليم السيد المسيح وكنيسته بل على تعليم كل الاديان دون اختلاف

ذكرى المئة الثالثة لمولد اول علماء اللغات الهندية من المستشرقين في ١٨ كانون الاول من السنة الحاضرة ستقام في مدينة دلنغن في المانية حفلة عظيمة تذكاراً لمولد اول اوربي دخل الهند فتعلّم لغاتها القديمة اخصها اللغة السنسكريتية اصل اللغات الهندوجرمانية والاوربية عموماً ونشر شيئاً منها . وما هذا الاوربي الّا يسوعي الماني اسمه يوحنا كنراد روث (J. K. Roth s. j.) وُلد في دلنغن في ١٨ ك ١ سنة ١٦٢٠ ودخل الرهبانية اليسوعية في ٢٥ ك ١ سنة ١٦٣٩ ورحل الى الهند للتبشير بالايمان بعد ان نذر النذر للرسالة اذا شُفي من مرض عضال ايسوا فيه من حياته فشفي وسافر الى الهند في ٢٧ ك ٢ ١٦٥٠ على طريق البر من حلب الى بغداد وبحر العجم ومضيق هرمز حتى بلغ مدينة غوا سنة ١٦٥٢ فارسلوه مدة الى رسالتنا في الحبش لمساعدة اخوته المرسلين لاضطهاد الحبشي ثم رجع الى الهند وخصّ نفسه بخلاص اهلها وكان في اوقات الفراغ يدرس اللغة السنسكريتية القديمة بمساعدة احد البراهمة المرتدين الى النصرانية حتى ألف غراماطيقة لاتينيا لدرس اللغة المذكورة فبقي في الهند ثماني سنين ورحل الى أغرا واجتمع بملك المغول

ثمّ سافر الى التبت ومنها الى الصين ثمّ عاد راجعاً الى ايطاليه على طريق روسية والتتر وتركية والنمسة وغايته ان ينشر غراماطيقة المذكور لمساعدة المرسلين على درس تلك اللغة امّ اللغات الاوربيّة المعدودة عند اهل الهند كلغة مقدسة . فلمّا وصل الى رومية سلّم كتابة الى احد الآباء اليسوعيين فيها ليهيّئه للطبع وهو الاب اثناس كرخر العظيم الشهرة وعاد هو راجعاً الى الهند على طريق روسية مرافقاً لسفارة ارسلها ملك النمسة الى الصين فكان الاب روث احسن دليل لها . ثمّ رجع الى الهند ووصل اليها سنة ١٦٦٥ واستأنف اعمال الرسالة في أغرا وهناك توفيّ في ٢٠ حزيران ١٦٦٨ . فذكرًا لهذا الرجل العظيم ستُعقد حفلات رسميّة يحضرها اعيان الالمان وعلماؤهم فتكون فخرا للكنيسة الكاثوليكيّة وللرهبانيّة اليسوعيّة . امّا غراماطيق الاب روث فان الاب كرخر لم يتوفّق الى طبعه وبقي مخطوطاً في زوايا النسيان الى ان وقفوا عليه في خزانة الرهبانيّة اليسوعيّة في رومية ويسعون اليوم في نشره

﴿ السريان الكاثوليك في البصرة ﴾ نشرنا في المشرق (ص ٢٩٧ – ٢٩٩) اثراً قديماً للخيّب الذكر البطريرك اغناطيوس جروه استفدنا منه وجود رعيّة سريان كاثوليك في البصرة في السنة ١٧٨٥ مسيحيّة . وها قد تفضّل حضرة القس اسحاق ارمله فارسل لنا نسخة من كتاب آخر نقلهُ عن سجل رسائل البطريرك المذكور المصون في دير الشرفة العامر وهو جامع للمناشير والرسائل التي اوفدها اليه المجمع المقدّس واجوبة البطريرك عليها . ومن جملتها الرسالة الآتية المرجّهة اليه من رومية في تاريخ ٧ ايار سنة ١٧٨١ اذ كان بعدُ مطراناً على حلب وذلك تحت عدد ٢٥ . وهذا الكتاب الجديد يؤيد وجود السريان الكاثوليك في البصرة في القسم الثاني من القرن الثامن عشر

ايها السيّد المكرّم والكلي الاحترام نظير اخ

ان بعض عيلات من الكاثوليكيين القاطنين في مدينة البصرة قد توسّلوا من مدّة زمان الى هذا مجمع انتشار الايمان المقدّس كي يلتمس لهم من قدس الحبر الاعظم الاجازة ليحتفظوا الطقس اللاتيني ، ويوردون السبب عن ذلك في انهُ لا يوجد عندهم كاهن من طقسهم ليدوسهم ، ولكن هذا ليس هو سبباً مانعاً يمنع عن ان يصير الاهتمام في ان يرسل لهم كاهن من الطقس عينه من غير اماكن ، ولهذا فقد كُتب للمذكورين في ان يلتجئوا الى حضرتك بما ان سلطانك قد امتدّ على سريان ما بين النهرين والاماكن اللاصقة بها لكي توجه الاهتمام بانتخاب كاهن كافي

لتدبيرهم ويمكن ان البادري فوطانيوس من القديسة مريم الكرملتاني الحامل الرسائل في مدينة البصرة المذكورة يكتب لحضرتك عن ذلك · ولكن ان كان لا يوجد كاهن حسب المطلوب فيمكنك ان تخبر هذا المجمع المقدس لكي في حال مثل هذا يتم للمذكورين بنوال الاجازة للدخول في الطقس اللاتيني المطلوب منهم · هذا ما لزم ان اخبر به حضرتك واني بانتظار الجواب من ذلك · فاضرع الى الرب الاله في حفظك ونجاحك

مطيع اخ

لستفانس بورجيا كاتم الاسرار

لوزدس الكردينال انطونلي

رئيس المجمع المقدس

اسئلة واجوبة

سأل الاديب الخواجا يوسف صفير أيوجد علاقة بين ترشيش المذكورة في سفري ارميا (١٠ : ٩) وحزقيال (٢٧ : ١٢) وطرسوس المذكورة في سفر الاعمال · أم بينها وطرطوس

ترشيش وطرسوس وطرطوس

ج ترشيش المذكورة في اسفار الانبياء · وكتب العهد القديم هي احدى مدن اسبانية في جنوبها من اوسع البلاد تجارةً كان يقصدها الفينيقيّون فاتخذوا لهم فيها المخازن التجاريَّة وكانت اكبر سفنهم تبحر اليها · وهذه المدينة خربت بعد ذلك والكتبة يظنُّون انها هي مدينة طُرطوشة (Tortose) القريبة من البحر على نهر الإبر (Ebre) · اما طرسوس فهي مدينة قيليقية الشهيرة بين آطنة ومرسينة في وسطها وهي وطن القديس الرسول مار بولس وتختلف كلاهما عن طرطوس احدى مدن سواحل الشام شمالي عمريت بين طرابلس واللاذقيّة

س وسأل احد القرّاء هل عُرف مشروب الجعة (البيرة) في الزمن القديم

الجعة وقدمها

ج كان المظنون انَّ الجعة من المشروبات الحديثة بالنسبة الى غيرها لكنَّ احد الاثريين النمسويين اكتشف في اطلال بابل على اسطوانة عليها كتابات اشوريَّة ورد فيها ذكر الجعة ووصفها وتاريخ الكتابة سنة ٢٨٠٠ قبل المسيح ومن ثمَّ يجب ان تُعدَّ الجعة من اقدم المشروبات المسكرة

ل · ش